مهذّب

الشيعة والتصحيح

الصراع بين الشيعة والتّشيّع

للعلامة الدكتور

ثقة الإسلام موسى الموسوي

تهذيب

سعد بن عبد الرحمن الحصيِّن

الإهداء

هذا كتاب يدافع عن الإسلام والإنسان والعقل
ابتغيت به وجه الله ورضاه وعونه وغفرانه
وقصدت به الشيعة في كل زمان ومكان
فإلى كل من يتبع نداء التصحيح ويسعى لأجل
مبادئه وأهدافه أهدي هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن اتّبع هداه.

أمّا بعد : فقد ولدت ونشأت وترعرعت في بيت الزعامه الكبرى للطائفة الشيعية ودرست وتأدبت على يد أكبر زعيم ديني عرفه تاريخ التشيع منذ الغيبة الكبرى[١] وحتى هذا اليوم، وهو جدنا الإمام أبو الحسن الموسوي.

وفي مثل هذه البيئة كنت أعيش آلام الخلافات المريرة بين الشيعة والسنة وأشاهد عواقبها الوخيمة عن كثب وفي ظل خطوات جريئة وعزومة كان جدنا الإمام يخطوها لتخطي الصعوبات في إرساء العلاقات الصحيحة بين الشيعة والسنة للوصول إلى الوحدة الكبرى بين الطائفتين والتي كانت تصطدم بالسياسات الاستعمارية تساندها عقول متحجرة وأناس متعصبون ومتاجرون بالطائفية البغيضة، وبدأت أدرك خطورة المهمة وقداستها في الوقت نفسه.

وقد زاد عزمي قوة عندما عرفت أن السبب في قتل والدي بين صلاة المغرب والعشاء في الحضرة العلوية في النجف ، على يد مجرم يجهل دينه، إنما كانت خطة شيطانية لكي تثني والده السيد أبا الحسن عن خطواته الإصلاحية. ولكن السيد أبا الحسَن احتمل المصيبة صابراً محتسباً لله وضرب مثلاً عظيماً في تلقين المصلحين درسا لا زال التاريخ الشيعي يذكره ألا وهو العفو عن القاتل الذي قتل فلذة كبده وأعز الناس إلى قلبه، وذلك ليثبت أن قلب المصلح لا تزلزله العواصف ولا تضعفه المصاعب ولا تتحكم فيه الأحقاد والثارات وأنه يبقى كالطود الشامخ يذود عن العقيدة التي يريد إرساءها.

وبعد كل هذا كان من الطبيعي أن تتكون لدي فكرة الانطلاق نحو تصحيح الشيعة في بعض عقائدها و أعمالها ولا سيما تلك التي سببت الخلاف مع أهل السنّة والتي كانت بحد ذاتها تتناقض مع الإسلام والعقل وهي كما أعتقد كانت ولم تزل وبالاً على المذهب الشيعي حيث أدت إلى تشويه سمعته ومسخ معالمه في العالم كله.

١- الغيبة الكبرى تعني في اعتقاد الشيعة الإمامية غيبة الإمام المهدي الثاني عشر ا عام ٣٢٩ هجري. راجع فصل الإمام المهدي.

ولا شكّ أنّ عرض القضيّة لا يكفي -وحده- لحل المعضلة بل لا بد من تقديم حلول عمليه أطلب من الشيعة في كل أرجاء الأرض أن يلتزموا بها إذا أرادوا خير الدنيا والآخرة معا، وقد وصلت إلى نتيجة حاسمة في تتبعي للخلاف بين الشيعة الإمامية والفرق الإسلامية الأخرى هي أن الخلاف بينهما ليس بسبب الخلافة بعد رسول الله ﷺ وهل الامام علياً أولى بها من غيره، فالشيعه الزيدية وهي تؤلف طائفة كبيرة تُعَدّ بالملايين تعتقد بأحقية عليٍّ بالخلافه بعد الرسول الكريم ولكن الوئام والتعايش يسود بينها وبين أهل السنة والجماعة. فالسبب الأساسي في الخلاف بين الشيعة الإمامية والسنة ليس هو موضوع الخلافه بل هو موقف الشيعه من الخلفاء الراشدين وتجريحهم إياهم، الأمر الذي لانجده عند الشيعه الزيدية وبعض الفرق الأخرى ولواكتفت الشيعة الإمامية بسلوك الزيدية لقلت الخلافات ولضاقت مساحة الشقاق، ولكن الشيعة الإمامية وقعت في الخلفاء الراشدين الثلاثة تجريحاً وانتقاصاً فكانت الفتنه.

وقد كنت أدعو الله آناء الليل وأطراف النهار أن يلهمني العلم والبصيرة ويمنحني القوة والتوفيق لأداء رسالة التصحيح التي كنت أصبو إليها منذ سني الشباب فكانت النتيجه كتابي هذا: (الشيعة والتصحيح: الصراع بين الشيعة والتشيع) الذي أقدمه اليوم إلى الشيعة في كل مكان.

إنه نداء للشيعة مبعثه الإيمان المطلق بالله وبرسالة الإسلام الخالدة وبقوة المسلمين وكرامة الإنسان. إنه نداء يدعو لمحاولة إنهاء الخلاف الطائفي بين الشيعة والفرق المسلمة الأخرى. إنها صرخة لايقاظ الشيعة من نوم عميق دام ألفاً ومائتي عام، إنها قصة الصراع المرير بين المسلمين حتى يومنا هذا. إنه نداء العقل والإيمان إلى الشيعة كي تنفض عن نفسها غبار السنين وتثور ثورة لا هوادة فيها ولا انتظار على تلك الزعامات المذهبية التي سبّبت هذا التخلف الكبير في الحياة الدينية والفكرية والإجتماعية. وهكذا يدفعني اعتقادي وواجبي أن أوصي ملايين الشيعه بقراءة هذا الكتاب: ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين﴾.

الإمامة والخلافة

بدأ الصراع بين الشيعة والتشييع عندما حرفت الشيعة معنى التّشيّع من حب الإمام علي وأهل البيت إلى ذم الخلفاء الراشدين الثلاثة وتجريحهم بصورة مباشرة ، وتجريح الإمام علي وأهل بيته بصورة غير مباشرة.

عقيدة الشيعة الإمامية في الخلافة

كلما تعمقت في عقائد الإمامية أجد أن هناك هوّة عظيمة تفصل بين الشيعة والتشييع قد.تصل في بعض الأحيان إلى التناقض الصارخ.

وكلما تعمقت في تاريخ الصراع بين الشيعة والتشييع تتجلى أمامي العصور الثلاثة التي انبثق فيها هذا الصراع مبتدئا بالعصر الأول وهو عصر ظهور الصراع الفكري بعد ما يسمّى بالغيبة الكبرى الذي مهد الطريق للعصر الثاني وهو ظهور الدولة الصفوية على يد مؤسسها الشاه اسماعيل الصفوي في عام ٩٠٧ هجري وتأسيس الدولة الشيعية في إيران، ومن ثم العصر الثالث والأخير وهو عصر الصراع الذي نشاهده في حياتنا المعاصرة بين الأفكار الشيعية الحديثة والتّشيّع ، تلك الأفكار التي عصفت بالمجتمع الشيعي وأدت إلى نتائج حزينة خطيرة.

ولكي نضع النقاط على الحروف في رسالتنا الإصلاحية هذه لا بد من طرح الأفكار بصورتها الحقيقية ومن ثم إنارة الطريق لكي يكون القاريء على بينة من أمره.

الإمامة هي الحجر الأساسي في المذهب الشيعي الإمامي وهكذا في المذهب الزيدي والإسماعيلي[١] ومنها يتفرع كل ما هو مثير للجدل مع الفرق الإسلامية الأخرى. فالشيعة الإمامية تعتقد أن الخلافة لعليٍّ بعد رسول الله ﷺ ومن بعد علي لأولاده حتى الإمام الثاني عشر الذي هو محمد بن الحسن العسكري الملقب بالمهدي، وأن رسول الله ﷺ ألمح إلى خلافة علي من بعده في مواطن كثيرة ونص على ذلك في مواطن أخرى أشهرها في موقع يسمى (غدير خُمّ) عند رجوعه من

١- الزيدية تعتقد أن الإمامة تتفرع من زيد بن علي بن الحسين بن علي، والإسماعيلية تعتقد أن الإمامة تتفرع من اسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق.

حجة الوداع حيث عقد البيعة لعلي وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

كان ذلك في يوم الثامن عشر من ذي الحجة عام (١٢) بعد الهجرة والشيعة تحتفل بهذا اليوم في كل مكان توجد فيه وتطلق على هذا اليوم إسم (عيد الغدير). أما الفرق الإسلامية الأخرى فترى أن الرسول الكريم ﷺ ذهب إلى الرفيق الأعلى ولم يستخلف أحداً من بعده بل ترك الأمر شورى بين المسلمين.

هذا هو ملخص الخلاف بين الفريقين. ولكل فرقة آراؤها وأدلتها حيث ألف علماء الفريقين في هذا الموضوع عشرات الكتب المطولة والمختصره، ولم تنفع تلك الكتب الكثيرة في زحزحة الشيعه عما تعتقده في الخلافة أو زحزحه السنة عما تراه أولى بالاتباع.

غير أن المشكلة القصوى هي أن هذا الخلاف الفكري لم يتوقف عند هذا الحد بل اتخذ شكلاً خطيراً كلما بَعُد العهد عن عصر الرساله. ولو أن الخلاف بقي محصوراً عند هذا الحد لكان الخطب هيناً، ولما عانى العالَمُ المسلم في تاريخه الطويل كثيراً من المحن والمصائب التي حلت به بسبب فكرة الخلافة والخلاف فيها. الخلاف الفكري تجاوز حدود البحث العلمي والإختلاف في الرأي بل اتخذ طابعاً حاداً وعنيفاً عندما بدأت الشيعة تجرّح الخلفاء الراشدين وبعض أمهات المؤمنين بعبارات قاسية وعنيفة لا يجوز أن تصدر من مسلم نحو مسلم ناهيك أن تصدر من فرقة إسلامية نحو صحابة الرسول ﷺ وأزواجه، صحابة لهم مكانة كبيرة في قلوب المسلمين، وأزواج للنبي سمّاهن الله بأمهات المؤمنين.

وهنا ظهر على ساحة الخلاف عدم التكافؤ بين الفريقين في طريقة التفكير، فالفرق الإسلامية الأخرى تحبّ علياً وتكرمه شأنه شأن الخلفاء الذين سبقوه وتحترم أهل بيت رسول الله ﷺ وتصلي عليهم في كل صلاة مفروضة أو نافله، ولكن الشيعة لها موقف آخر من خلفاء المسلمين، موقف فيه العنف والقسوة والكلام الجارح .

فكانت النتيجة ظهور رد فعل عنيف من قبل علماء السنّة للدفاع عن أعز

وأعظم خلفائهم. فألف ودوَّن كتّاب السنة وعلماؤها في الشيعة الكتب الكثيرة معيرة إياها بالكفر مرة وبالخروج عن الإسلام مرة أخرى. وهكذا شغلت هذه القضيّةحيزاً كبيراً في حياة الفريقين.

لكن أسوأ ما في الأمر الطريقة التي اتبعتها الشيعة في معالجتها لمشكلة الخلافة فهي تتناقض كل التناقض مع سيرة الإمام علي وسِيَر أولاده من أئمة الشيعة. ولذلك تتملكني الحيرة والدهشة عندما أرى أن شعار الشيعة هو حبّ الإمام علي وأولاده ولكنهم يضربون عرض الحائط بسيرة علي والأئمة من ولده.

ولأني أتحدث مع الشيعة بلغتهم وفي نطاق معتقداتهم كي تكون حجة عليهم، فلا بد من القول بأنني أواجه أمرين متناقضين أحدهم التشيع والآخر الشيعة. ومن هنا بدأت أستنتج أن ذلك الصراع الذي حدث بين الشيعة والتشيع بعد الغيبة الكبرى مباشرة هو السبب الأساسي لكل الانحرافات التي حدثت في الفكر الشيعي إلى يومنا هذا، كما إني أرى أن ذلك الانحراف سبب في الشقاق بين الشيعة والسنة وهو ما سنفصله في هذا الكتاب في مكانه المناسب .

فكرة الخلافة في عهد الرسول ﷺ

لو نظرنا إلى موضوع الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ لوصلنا إلى نتيجة مؤكدة لا يختلف عليها اثنان ، هي إن فكرة الأفضلية لخلافة النبي الكريم ظهرت بعد وفاته مباشرة، فهذا هو العباس بن عبد المطلب كما يقول بعض المؤرخين يخاطب الإمام عليّاً عندما كان مشغولاً بتجهيز النبي صلى الله عليه وسلم ودفنه .

«أعطني يدك أبايعك حتى يقول القوم عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله».

فيقول له الإمام : «وهل يطمع فيها طامع غيري؟ ثم أنني لا أريد أن أبايع من وراء رتاج».

واجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعده لينظروا في أمر الخلافة وقالت الأنصار للمهاجرين : «منا أمير ومنكم أمير»

وكادت تحدث فتنة بين المجتمعين ولكن عمر بن الخطاب حسم الأمر وبايع أبا بكر فبايعه المسلمون بعد ذلك وترك سعد بن عبادة شيخ الخزرج السّقيفة غاضبا

لأنه كان يرى نفسه أولى بالخلافة من غيره، وتخلف الإمام علي عن البيعة بعض الوقت إلا أنه بايع الخليفة الجديد أبا بكر فيما بعد.

ومن هنا يمكن القول إن فكرة التشيّع لعليّ بالمعنى الذي أشرنا إليه ظهرت بعد وفاة النبي ﷺ واستمرت حتى القرن الثالث الهجري حيث كان التّشيع يعني أن الإمام علياً أولى بالخلافة وأحق بها من غيره ولكن المسلمين استجابة لأمر الله تعالى في قوله : ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ [الشورى:٣٨]، ارتضوا أبا بكر خليفة والإمام عليّ ارتضاه كما ارتضاه غيره وبايعه كما بايعه غيره، وهكذا كان موقفه من الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فبايعهما وأخلص لهما في المشورة والرأي.

التشيّع في القرن الثاني هجري

منذ أوائل القرن الثاني للهجرة أخذت فكرة التشيّع تمثّل مذهباً فقهيا سمّي مذهب أهل البيت، وقد تجلى هذا المذهب في زمن انبثقت فيه المذاهب الفقهية الاسلامية الأخرى كالمذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، وتجلت مدرسة أهل البيت في فقه الإمام الصادق الإمام السادس للشيعة الإمامية. وقد كانت الفكرة التي تساند مذهب أهل البيت هي الفكرة القائلة بأنه إذا كان الإمام عليّ أولى بالخلافة من غيره فأولاده ومن ثم حفيده الإمام جعفر بن محمد الصادق أجدر بأن يتّبع في مسائل الدين من غيره من الفقهاء. وهكذا ظهر المذهب الفقهي الجعفري الى الوجود في عهد الإمام الصادق في المدينة النبوية آنذاك. ولكن التشيع لعلي وأهل بيته بدأ يأخذ شكلاً خطيراً بعد مقتل الإمام الحسين الذي أحدث هزّة عنيفة في العالم المسلم أدت إلى سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية. وكما نعلم فقد حدثت ثورات متتاليات باسم التشيع لعلي وأهل بيته منها ثورة المختار وثورة مصعب بن الزبير وثورة زيد بن علي بن الحسين. كما أن الثورة التي قطف ثمارها العباسيون وأطاحت بالخلافة الأموية في المشرق إلى الأبد قد بدأت باسم التشيع لأولاد علي وأهل بيت رسول الله ﷺ، وكان أبو مسلم الخراساني يدعو لأهل البيت في إبان القيام بثورته ولكنه انحاز إلى العباسيين في قصة جاء ذكرها في كتب التاريخ.

ونستنتج من كل هذه المقدمة أن فكرة التشيّع كانت موجودة في القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة ، وهذه الفكرة كانت تنحصر في النقاط التالية :

أولاً: أن علياً أولى بالخلافة من غيره ولكن المسلمين بايعوا الخلفاء الراشدين الثلاثة قبله.

ثانياً: إظهار العداء للأمويين وذلك لموقف معاوية من علي ومقتل الإمام الحسين بعد ذلك.

ثالثاً: الرجوع إلى أهل البيت في الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية.

رابعاً: أهل البيت ولا سيما الأئمة من أولاد الحسين أولى بالخلافة من الأمويين والعباسيين .

بداية الإنحراف في الفكر الشيعي

وبعد الإعلان الرسمي عن غيبة الإمام المهدي في عام (٩٢٣) هجري حدثت في الفكر الشيعي أمور غريبة أدعوها بالصراع بين الشيعة والتشيّع أو عهد الإنحراف، وكان أول هذه الأمور في عمليّة الانحراف الفكري ظهور الآراء القائلة بأن الخلافة بعد الرسول ﷺ كانت في علي بالنص الإلهي، وأن الصحابة عدا نفر قليل منهم خالفوا النص الإلهي بانتخابهم أبا بكر. كما ظهرت في الوقت نفسه آراء أخرى تقول إن الإيمان بالإمامة مكمل للإسلام، حتى أن بعض علماء الشيعة أضافوا الإمامة والعدل إلى أصول الدين الثلاثة التي هي: التوحيد والنبوة والمعاد، وقال بعضهم بأنها من أصول المذهب لا من أصول الدين، وظهرت روايات تنقل عن أئمة الشيعة فيها تجريح الخلفاء الراشدين الثلاثة وبعض أزواج النبي ﷺ.

ومن الجدير بالذكر أنه حتى في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وحتى بعد مقتل الإمام الحسين وظهور الثورات الداعية إلى الأخذ بالثأر، وفي العهود التي كانت التشيّع يعصف بالخلافة الآموية ويقصم ظهرها ويمهد الطريق للخلافة العباسية لم نجد أثراً لدى المتشيعين لعلي وأهل بيته للآراء الغريبة التي ظهرت فجاة في الجماعة المسلمة بعد ما سمّي بالغيبة الكبرى ، تلك الآراء التي ساهم بعض رواة الشيعة وبعض علماء المذهب في بثها ونشرها وغرسها في عقول أبناء الشيعة .

وظهرت في الوقت نفسه فكرة (التقية) التي كانت تأمر الشيعة بأن تعلن شيئاً وتضمر شيئا آخر وذلك لحماية الآراء الحديثة التي كانت بحاجة إلى الكتمان لحمايتها من السلطة الحاكمة. ولكي يكون لهذه الآراء الغريبة رصيد ديني لا يجوز التشكيك فيه نسب رواة الشيعة تلك الروايات الغريبة إلى أئمة الشيعة ولا سيما إلى الإمامين الباقر والصادق. ولتثبيت صحة تلك الروايات ظهرت فكرة (عصمة أئمة الشيعة) في ذلك العهد لكي تكون رصيداً آخر يجعل من تلك الرويات الغريبة روايات مقدسة لا تخضع للنقاش والجدل والبحث والنقض.

وقد أفردنا لتلك الأراء الغريبة الدخيلة فصولاً خاصة في هذا الكتاب ، أما الآن فلنعد إلى مبحث الإمامة والخلافة لكي نناقش المتغيرات التي أحدثها الرواة وعلماء المذهب فيها بعد الغيبة الكبرى .

إن المتتبع المنصف للروايات التي جاء بها رواة الشيعة في الكتب التي ألفوها بين القرن الرابع والخامس الهجري يصل إلى نتيجه محزنة جداً وهي أن الجهد الذي بذله رواة الشيعة أساء إلى الاسلام والتشيع. وعندما نمعن النظر في الروايات التي رووها عن ائمة الشيعة وفي الابحاث التي نشروها في الخلافة وفي تجريحهم لأكثر صحابة الرسول ﷺ ونسفهم الوحدة الاسلامية التي سادت في عهد النبوة لكي يثبتوا أحقيّة عليّ وأهل بيته بالخلافه ويثبتوا علوّ شأنهم وعظيم مقامهم نرى أن هؤلاء الرواة – سامحهم الله – أساءوا للإمام علي وأهل بيته وهم لا يشعرون.

ماذا تعني هذه الروايات التي نسبها هؤلاء إلى أئمة الشيعة وهم صناديد الإسلام وفقهاء أهل البيت؟. وماذا تعني هذه الروايات التي نسبوها إلى أئمة الشيعة وهي تتناقض مع سيرة الإمام علي وأولاده الأئمة وكثير منها يتناقض مع العقل المدرك والفطرة السليمه ؟.

وأبدأ بالخلافة لكي نرى أن ما رووه في حق الخلفاء وصحابة الرسول ﷺ يصطدم بسيرة الإمام علي وأهل بيته، ونرى بعد ذلك كيف أن هؤلاء الرواة وبعض علماء الشيعة ناقضوا مواقف الإمام علي والأئمة من بعده.

موقف الإمام علي من الخلافه

قلنا قبل قليل أن التشيع كان يعني حب الامام علي وأهل بيته وإعطاءه حق الأولوية في الخلافة، وإعطاء أولاده مثل هذا الحق من بعده ولا أظنّ أن هناك أحد لايعرف الأسباب الدافعه إلى هذا الاعتقاد فالامام عليّ نشأ في بيت الرسولﷺ وهو ابن عـمـه ومِنْ أول من آمن به ومـات راضـيـاً عنه، وهو زوج الزهراء وأبا الحسنين وبطل المسلمين، ودافع عن الرسول الكريم ورسالته بقلبه ولسانه ويده.

فمن الطبيعي أن يرى عليٌّ نفسه أولى بخلافة محمد ﷺ ومن الطبيعي أيضا أن تجد الفكرة لها مؤيدين وأنصارا .

الإمام علي يؤكد شرعية بيعة الخلفاء

ولكن هل يعني أنّ هناك نصاً إلهياً بتعيين علي لخلافة الرسول ﷺ؟ الامام علي كان يقول : لا نص عليه من السماء، وصحابة علي الذين عاصروه كانوا يعتقدون بذلك أيضاً ، وقد استمر هذا الاعتقاد حتى عصر الغيبة الكبرى وهو العصر الذي حدث فيه التغيير في عقائد الشيعة وقلبها رأسا على عقب.

ومرة أخرى أقول إن هناك فرقاً كبيراً بين أن يعتقد الإمام علي والذين كانوا معه أنه أولى بخلافة الرسول الكريم ﷺ من غيره ، وبين أن يعتقد أن الخلافة حقه الإلهي وأنّها اغتصبت منه. فلنستمع إلى الإمام علي وهو يحدثنا عن هذا الأمر بكل وضوح وصراحة ويؤكد شرعية اختيار الخلفاء وعدم وجود نص من الوحي في أمر الخلافة:

«إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضى، فان خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه. فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين» (نهج البلاغة ص٧، ج٣).

إن وجود نص إلهي في موضوع الخلافة يصطدم بخمس عقبات رئيسية كل

واحدة منها تكفي لهدم الفكرة من أساسها، وهذه العقبات الخمس هي:

أ – صحابة الرسول ﷺ وموقفهم من الخلافة.

ب– أقوال الإمام عليّ في الخلافة.

ج– بيعة الإمام عليّ للخلفاء .

د–أقوال الإمام في الخلفاء الراشدين.

هـ أقوال أئمة الشيعة في الخلفاء الراشدين.

أ– صحابة الرسول ﷺ وموقفهم من الخلافة

هناك صورة مشرقة نيرة لهذه الصفوة المختارة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم تعني كل كلمة منها صفاء ذلك العصر وعظمته وجلالته وروعته وإخلاص الصحابة وتفانيهم في الاسلام وفي الدفاع عن الرسولﷺ ولنقرأ معا هذه الآية الكريمة:

قال الله تعالى : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوارة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما﴾ [الفتح:٢٩].

وهناك وصف آخر لصحابة رسول ﷺ من كلام الإمام عليّ نثبته هنا:

«لقد رأيت أصحاب محمد ﷺفما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً وقد باتوا سجداً وقياماً يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب » (نهج البلاغة ص١٩، ج٢).

وهنا لابدّ من هذا السؤال: هل مثل هؤلاء الصحابة الذين أثنى عليهم الله هذا

الثناء العظيم ومدحهم الإمام عليّ بهذا الوصف البليغ، يخالفون النص الإلهي في أمر تشريعي وهم حماة التشريعات الإلهية ومنفذيها، وقد ضحوا بالغالي والرخيص لأجلها، ولا سيما لو كان لذلك التشريع صلة مباشرة بمصالح المسلمين ومستقبل أمرهم وإرساء القواعد التي بعث رسول الله ﷺ لإرسائها؟

نقول هذا ونحن نؤدي رسالة التصحيح في هذا الكتاب بعيدة عن الأهواء والعصبيات وتقاليد الآباء والأمهات، إنها رسالة موجهة إلى الطبقة المثقفة وأصحاب الأفكار الحرة من أبناء الشيعة الذين عليهم عقدت الآمال في السير وراء التصحيح.

ب- أقوال الامام عليٌ في الخلافة

يقول الإمام عليّ: «دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان. واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولَعَلّي أَسْمَعكم وأَطْيَعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً» (نهج البلاغة ص ١٨٢، جـ ١).

ولنقرأ معاً نصوصاً أخرى للإمام فيها وضوح وصراحة في رغبته عن الخلافة وأنه كان يدفعها عن نفسه دفعاً. ولم يذكر الإمام أن هناك نصاً من الله وتشريعاً إلهياً ورد في الخلافة [ولو كان لما وسعه إلاّ إعلانه وقبوله]. يقول الامام: «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة ، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها ، فلما أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته وما استسن النبي ﷺ فاقتديته» (نهج البلاغة ص١٨٤،جـ٢).

ويقول في مكان آخر:

«فأقبلتم إلي إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون: البيعة البيعة، قبضت كفي فبسطتموها، ونازعتكم يدي فحاذيتموها» (نهج البلاغة ص٢٠، جـ٢).

ولنقرأ أيضاً ما قاله في حكم ولاية الخلفاء الذين سبقوه حتى نعلم مدى إيمان الإمام واعتقاده بصحة بيعتهم.

يقول الامام:

«إنها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يستأذن فيها الخيار » (نهج البلاغة ص٨، جـ٣).

ويقول في مكان آخر [مخاطباً المتشيعين له]:

«ألا وإنكم قد نقضتم حبل الطاعة وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأضراب الجاهلية. فان الله سبحانه وتعالى قد امتن على جماعة هذه الامة فيما عقد بينهم من حبل الالفة التي ينتقلون في ظلها ويأوون إلى كنفها بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة، لأنها أرجح من كل ثمن وأجل من كل خطر. واعلموا بأنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً وبعد الموالاة أحزاباً، ما تتعلقون من الاسلام إلا باسمه ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه» (نهج البلاغة ص١٥٤، جـ٣).

ولنستمع إلى الإمام مرة أخرى وهو يؤكد شرعية الخلافة والإمامة بعد أن [اجتمع عليها أهل الحل والعقد] حيث يجب على الأكثرية الغائبة طاعة الخليفة [الذي انعقدت له البيعة]: «ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس فما إلى ذلك سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار» (نهج البلاغة ص٨٦، جـ٢).

ج–بيعة الإمام عليٌّ للخلفاء قبله والتأكيد على شرعيتهم

والآن لابد أن نعرج على موضوع آخر وهو لو كانت الخلافة له بنص إلهّي، هل كان يليق بالإمام أن يهمل هذا النص ويبايع الخلفاء ويرضخ لأمرٍ [يخالف شرع الله] أم يصرّ على العمل به؟

لقد علل علماء الشيعة في الكتب العديدة التي ألفوها بيعة الامام علي للخلفاء بأمرين، الأول: أن الإمام علياً بايع الخلفاء خشية من الفرقة التي قد تؤدي إلى هدم الاسلام، فلذلك ترك حقه ورضخ لخلافة خلفاء غصبوا حقه. والثاني: أنه بايع الخلفاء خشية منه على نفسه وعملاً بالتقية.

أما تعليل بيعة الامام بالخوف على الإسلام من الضياع لأن الناس كانوا حديثي

عهد بالاسلام ، فيدحضه بيعة علي لعثمان التي كانت في عصر امتدت فيه الخلافة الاسلامية من الشرق حتى بخارى ومن الغرب حتى شمال أفريقيا، وكانت الخلافة تحكم أكبر رقعة من الأرض المسكونة في ذلك العصر.

وإنّ من أغرب الأمور وأعظمها خطراً في مبحث الخلافة وإن لم يذكره أحد ممن أسهب فيها من رواة الشيعة وعلمائها ومن الفرق الاسلامية الأخرى: أنهم لم يبحثوا الاستخلاف الإلهي بصورة مستقلة عن أحقية الإمام علي أو عدم أحقية عن الخلفاء الذين سبقوه بل ربطوه ربطاً وثيقاً بالأشخاص والأسماء، لأنه لو بحث بصورة مستقلة عن شخص علي وأولاده لاصطدم بعقبة كبيرة تنسف كل القواعد التي بنيت في عصر الصراع بين الشيعة والتشيع [حول اغتصاب حقّ عليّ في الخلافة].

ولو بحث موضوع الخلافة في الاسلام مجرداً من الأسماء والأشخاص لما واجه المسلمون ما واجهوه من الحيرة والضياع والشقاق . ولو جاء في الإمامة أو الخلافة عامة بعد الرسول ﷺ نص إلهي في الكتاب أو السنّة لكانت كل المبررات والأقاويل التي ذكرتها رواة الشيعة وعلماء المذهب الامامي عن مبايعة الإمام علي الخلفاء الذين سبقوه للمصلحة أو للتقية تذهب أدراج الرياح وتصبح هباءاً منبثاً، لأن الخلافة عندما تكون بنص إلهي وبأمر من الله لا يستطيع أحد مهما كان مقامه أو منزلته في الاسلام أن يخالفها أو يتنازل عنها.

وإذا كان محمد وهو رسول الله ﷺ لا يحق له أن يتلكأ في أداء الرسالة الالهية أو يخفيها كما في الآية الكريمة: ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة:٦٧]. فكيف يستطيع من هو دون مرتبة الرسول ﷺ أن يغض النظر عن النص الإلهي أو يخفيه؟

إن ربط الخلافة بالخليفة وعدم التفريق بينهما هو الذي مهد الطريق للرواة من الشيعة كما قلنا أن يدونوا ما شاؤوا في إبان عصر الصراع بين الشيعة والتشيع.

ومع كل ذلك فإنّ فئة كبيرة من علماء المذهب الشيعي ذهبوا إلى تأويل بيعة الإمام بالتقية أو الخوف، أو أنه أرغم على أمر لا يعتقده خلاف إرادته.

والحقيقة أن في هذا التعليل تنقيص للإمام علي وشخصيته والطعن فيه بصورة غير مباشرة، وكذلك تحطيم لكل ما يتعلق بعصر الرسالة وصحابة الرسول ﷺ لأن فيه اتهام كبار صحابة رسول الله بالخروج عن أوامر الله الصريحة بادعاء أن الخلافة لعلي بنص إلهي ومخالفة الصحابة كلهم لهذا النص مع علمهم به ثم تصوير الامام علي في صورة رجل مداهن مغلوب على أمره كان مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه طيلة خمسة وعشرين عاماً في ظاهر الأمر بصورة مستشار أمين وصديق حميم مطنباً في مدحهم، ولكنه في واقع الأمر مخالف لهم، وأنه زوج ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب وهو مرغم، وسمّى أولاده أبا بكر وعمر وعثمان وهو غير راض عن تسميتهم، وهكذا دواليك.

وحتى أوائل القرن الرابع الهجري وهو عصر الغيبة الكبرى لا نجد أي أثر لفكرة اغتصاب الخلافة من الإمام علي أو أنها حق إلهي له وإنّما هو الرأي بأنّه الأولى بها، ثم تغيرت فكرة الأولوية إلى فكرة الخلافة الإلهية ومخالفة النص الإلهي.

ولا شك أن دخول الفلسفات اليونانية على الفكر العربي ولعبها دوراً كبيراً في تأسيس المدرستين الاعتزالية والأشعرية كان وراء الصراع بين الشيعة والتشيع وإظهار الشيعة بالمظهر الذي نحن عليه الآن. ولا شك أيضاً أن عرض الخلافة بالصورة التي عرضها علماء المذهب مستندين على روايات رواة الشيعة كان سبباً لانعزال المذهب الشيعي عن سواه وابتعاده عن المذاهب الأخرى محتفظاً بحالة انعزالية وهجومية، بعيدة عن كل ألفة واتفاق مع فرق المسلمين الأخرى. وكان لا بد لابقاء المذهب محصوراً على الطائفة منعزلاً عن الفرق الاخرى من إيجاد حالة من التنافر تمنع كل تقارب في المستقبل، ولذلك أخذت الشيعة تسلك طريق تجريح الخلفاء الراشدين وذمهم مستندة على الروايات التي وضعت على لسان أئمة الشيعة مخلفة وراءها من الخراب والدمار ما لا يحصيه إلا الله.

ونحن هنا نتحدث مع الشيعة بالمنطق الشيعي البحت، ونثبت أقوالاً للامام علي في حق الخلفاء الراشدين ثم نستشهد بما يقول الإمام عن نفسه ثم نسأل

أنفسنا: هل أن مثل هذا الإمام بايع الخلفاء وهو مرغم،أو أنه خادع المسلمين في عمله والخلفاء في بيعته ، وهل أنه قال كلاما لا يعتقده وعمل عملاً لا يؤمن به ؟.

أحقاً إن الشيعة تحب علياً وهي التي نسبت إليه مثل هذه الأمور أو إنها سلكت هذا الطريق الشائك حتى تثبت حقها في استلام السلطة وتأسيس الدولة ولو أدى ذلك إلى التضحية بسمعة علي وأصحابه وجلالة قدرهم وعظمة أنفسهم وعلو مقامهم؟.

د- أقوال الامام علي في الخلفاء الراشدين

لنستمع إلى الامام عليّ وهو يتحدث عن الخليفة عمر بن الخطاب: «لله بلاء عمر، فقد أخمد الفتنة وأقام السنة. ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته » (نهج البلاغة – ص ٢٢٢ جـ ٢). ومرة أخرى يخاطب الخليفة عندما استشاره في الخروج إلى غزو الروم بنفسه : «إنك إن تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم بشخصك فتنكب، لاتكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم، وليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً مجرّباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فان أظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين» (نهج البلاغة – ص ٢٨ ج٢).

وهذا هو الامام علي يتحدث مع الخليفة عثمان بن عفان ويصفه بصفات الصحابي المقرّب إلى رسول الله ﷺ:

«إن الناس ورائي وقد استنفروني بينك وبينهم والله ما أري ما أقول لك . ما أعرف شيئاً تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه. إنك لتعلم ما نعلم. وما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه . ولا خلونا بشيء فنبلغكه. وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله ﷺ كما صحبنا. وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك وأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ وشيجة رحم منهما. وقد نلت من صهره ما لم ينالا» (نهج البلاغة ج٢،ص٤٨).

فإذا كان هذا هو موقف الامام من الخلفاء الراشدين فهل نستطيع أن نقول إنه

كان يظهر شيئاً ويضمر شيئاً آخر؟ معاذ الله. إنه موقف صدق وإخلاص وإيمان من رجل هو مع الحق والصدق قبل كل الاعتبارات وبعدها. ولا بد أن أذكر أيضاً موقف الإمام علي من السيدة عائشة بعد موقعة الجمل فقد أحسن الإمام معاملة السيدة أم المؤمنين وأكرمها إكراماً يليق بزوجة الرسول ﷺ حينما أعادها من ساحة الحرب مصحوبة بعدد من النساء القرشيات.

أما الشيعة فلا تغفر للسيدة عائشة خروجها على الامام في تلك الحرب وهذا هو سبب موقفها المعارض لأم المؤمنين .

هـ - أقوال أئمة الشيعة في الخلافة والخلفاء الراشدين

لو كانت الإمامه إلهية كما تذهب الشيعة وأنها في أولاد علي حتى الامام الثاني عشر لعيَّن الامام ابنه الحسن خليفة وإماما من بعده ولكن الذي اتفق عليه الرواة والمؤرخون أن الامام عندما كان على فراش الموت وسئل عن الشخص الذي يخلفه قال : «أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ». وبعد وفاة الامام اجتمع المسلمون واختاروا ابنه الحسن وبايعوه خليفة للمسلمين ولكن الامام الحسن صالح معاوية وتنازل له عن الخلافة فيا ترى لو كانت الخلافة منصباً إلهيا هل كان للإمام علي أن يتردد في تولية ابنه؟ وهل كان للإمام الحسن التنازل عنها بذريعة حقن الدماء؟ إنه لامكان لحقن الدماء عندما يكون هناك تنفيذ لأمر الله وشريعته. وماذا يعني قتال المشركين ومانعي الزكاة من المسلمين لنصر دين الله؟. إن حقن الدماء أمام حق إلهي يتناقض مع هذه الآية الكريمة: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ﴾ [التوبة:١١١].

والإمام الحسين عندما ثار يريد الاطاحة بخلافة يزيد بن معاوية واستشهد في كربلاء ومعه أولاده وصحابته، لم يذكر قط بأنه يدافع عن خلافة سماوية اغتصبها يزيد بل كان يقول إنه أولى بالخلافة منه .

كما أننا لا نجد في أقوال الامام علي بن الحسين الملقب بالسجَّاد أيّة كلمة تدل على كون الخلافة إلهية . وبعد الامام السجّاد يأتي الامام محمد الباقر فلا نجد أثراً لفكرة الخلافة الإلهية في عهده ولا في عهد أئمة الشيعة الآخرين حتى الغيبة الكبرى.

التصحيح

١- إن موضوع الخلافة يجب أن لا يخرج عن إطاره الحقيقي الذي نُصّ عليه في القرآن الكريم ، ﴿وأمرهم شورى بينه﴾، فعلى الشيعة أن تنظر إلى الخلفاء الراشدين وتعاملهم بنفس النظر والمعاملة التي أقرها الإمام علي نزولا عند نص الوحي الإلهي وإجماع المسلمين، وتدرك أنّ الخلفاء الراشدين هم خير صحابة النبي ﷺ وهم جنود الاسلام الأوائل وقد اجتهدوا في مدة خلافتهم فأصابوا وأخطأوا و«كل ابن آدم خطاء»، وخدموا الاسلام ما استطاع كل واحد منهم الى ذلك سبيلاً.

فالخليفة الأول أبو بكر حفظ الإسلام من خطر الردة بحزمه وصبره ورأيه وعمله.

والخليفة الثاني عمر بن الخطاب أرسى قواعد الاسلام في بلاد واسعة شاسعة منها فارس وفلسطين والشام ومصر.

والخليفة الثالث عثمان بن عفان قال عنه النبي ﷺ : «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» وصاهر الرسول مرتين وكفاه فخراً أنه كان يملك ألفاً من حمر النعم باعها وصرف ثمنها في سبيل دعوة الرسول ﷺ وعلى المسلمين، وامتدت في عصره الفتوحات الاسلاميّة حتى وصلت إلى تخوم الهند.

ولا يجوز تجريح الخلفاء وذمهم بالكلام البذيء الذي نجده في أكثر كتب الشيعة، الكلام الذي يغاير كل الموازين الشرعية والأخلاقية ويناقض كلام الإمام علي في مدحهم وتمجيدهم كما أثبتناه قبل قليل. بل يجب على الشيعة أن تحترم الخلفاء الراشدين وتقدر منزلتهم من الرسول ﷺ، [فهم تلاميذه تربّوا على يده صحبهم واصطفاهم وصاهرهم]. ولا أطلب من الشيعة في هذه الدعوة التصحيحية أن تقول وتعتقد في الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الامام علياً أكثر مما قاله الإمام عنهم. فلو التزمت الشيعة بعمل الامام علي لانتهى الخلاف وساد الأمة السلام.

٢- لا بد من غربلة الكتب الشيعية التي ذكرت روايات موضوعةعن أئمة الشيعة في ذم الخلفاء الراشدين وإعادة طبع تلك الكتب [بعد معالجتها بالعدل والإحسان].

٣- على الشيعة أن تعتقد جازمة أن كل الروايات التي ذكرتها كتب الشيعة في حق الخلفاء وفي وجود نصوص إلهية في موضوع الخلافة هي روايات وضعت بعد عصر الغيبة الكبرى وذلك بعد أن سدت الأبواب كلها في الوصول إلى آخر إمام للشيعة وهو المهدي ، فلذلك لا نجد أثراً للروايات الجارحة في حق الخلفاء الراشدين وموضوع النص الإلهي في الخلافة قبل نهاية عصر الإمام الحسن العسكري وهو الإمام الحادي عشر للشيعة الإمامية حيث كان باستطاعة الشيعة أن تتصل بالإمام مباشرة وتسأله عن صحة ما ينسب إلى آبائه الأئمة من الروايات. ولكن بعد الإعلان الرسمي عن غيبة الإمام الثاني عشر وتكذيب كل من ادعى رؤيته بعد الغيبة بنص صريح صدر منه وضع بعض الرواة روايات باسم أئمة الشيعة فكان ما كان من أحاديث تندى منها الجباه.

التقية

إنني أعتقد جازماً أنه لا توجد أمة في العالم أذلت نفسها وأهانتها بقدر ما أذلت الشيعة نفسها في قبولها فكرة التقية والعمل بها. وها أنا أدعو الله مخلصاً وأتطلع إلى ذلك اليوم الذي تربأ الشيعة بنفسها حتى عن التفكير بالتقية، ناهيك عن العمل بها؟

من الصعب تصور معنى التقية بالمفهوم الشيعي الخالص كما وردت في الكتب الشيعية وتبناها بعض علماء المذهب الإمامي وساروا عليها منذ الغيبة الكبرى.

كيف تدَّعى الشيعة أنها من أنصار الإمام الحسين سبط النبي وهي تعمل بالتقية وتعتقد بها وترتضيها ؟ ما هذا التناقض في معتقدات الشيعة إذ يعتقدون بأن سيرة أئمة الشيعة حجة، ثم يضربون بها عرض الحائط عندما يصل الأمر إلى التقيةوإيجاب العمل بها. إن التقية تعني أن تقول شيئاً وتضمر شيئاً آخر، أو تقوم بعمل عبادي أمام الآخرين وأنت لا تقرّه ثم تؤديه بالصورة التي تقرّها في بيتك. لقد كان أئمة الشيعة أبعد الناس عن التقية وأكثر الناس مقتاً لها وليس من المعقول أن لا يعمل أئمة الشيعة بالتقية وهم يأمرون أتباعهم وشيعتهم بالعمل بها. قال الله تعالى: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾. إن سيرة الإمام علي وصراحته في الحق لا تحوجنا إلى دليل، أما ابنه الحسن وهو الامام الثاني للشيعة فكان أبعد الناس من التقية، وصلحه مع معاوية يشهد بذلك. فقد لاقى الإمام الحسن معارضة صريحة من كثير من شيعة أبيه الذين كانوا لا يريدون الصلح، حتى قيل: أن سليمان بن صرد وهو من كبار شيعة علي خاطب الإمام الحسن بقوله: «السلام عليك يا مذل المؤمنين».

والمعارضون للصلح كانوا أقوياء وأشداء ونال الإمام الحسن منهم الكثير، ولكن لم يفتّ كلّ ذلك في عضده وقاوم المعارضة مقاومة الأبطال؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «إن ابني هذا سيّد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين». الإمام الحسن ثار ضد يزيد ابن معاوية ولم يقبل نصح أولئك الذين نصحوه بالبقاء في مدينة الرسول وعدم السير إلى العراق. فهل في مثل هذه الثورة تجد الشيعة أثرا للتقية أو ما يمت إلى التقية بصلة؟

والامام الباقر وابنه الامام الصادق وهما أساس المدرسة الفقهية التي سميت باسم الفقه الجعفري وكان الإمامان يدرسان في المدينة في مسجد الرسول ﷺ ويدليان بآرائهما الفقهية وينشران مذهب أهل البيت بلا خوف ولا وجل. فالباقر عاصر

الخلافة الأموية والصادق عاصر نهاية الخلافة الأموية وبداية الخلافة العباسية وكانت الخلافة الأموية والعباسية على اختلاف مع الإمامين ولا ترتضي بمدرسة أهل البيت الفقهية، ولكن الامامين أديا الرسالة غير متهيبين من السلطة التي كانت على خلاف معهما.

والإمام موسى بن جعفر لم يكن على وفاق مع الخليفة العباسي هارون الرشيد وقضى سنوات في سجن الخليفة ببغداد. فلو كان موسى بن جعفر يسلك طريق التقية ويخادع الخليفة الذي تربطه به صلة القربى لما حدث له ما حدث.

وعندما آلت الخلافة إلى المأمون العباسي عين الإمام علي بن موسى الملقب بالرضا وليّاً للعهد، وعلي الرضا هو الإمام الثامن للشيعة الإمامية، غير أن الإمام قضى نحبه في عهد المأمون واستمرت الخلافة في العباسيين. وبعد وفاة الإمام الرضا زوّج الخليفة المأمون العباسي ابنته أم الفضل لابن الرضا محمد الجواد لكي لا تنقطع المودة بين الخليفة العباسي والبيت العلوي. وهذان الإمامان الأب والابن اللذان كان أحدهما ولياً للعهد والآخر صهراً للخليفة لم يطلبا من الشيعة أن يتخذوا التقية وسيلة لمآربهم.

وعلي وابنه الحسن العسكري الامام العاشر والحادي عشر للشيعة سكنا عاصمة الخلافة العباسية وعاصرا عهد المتوكل وابنه المعتصم ، وكان بيت الإمامين موئلا للزوار وكانا يقومان بشؤون المسلمين الدينية ونشر مذهب أهل البيت. ومن يتابع حياة هذين الإمامين يعلم أنهما كانا من أبعد الناس عن التقية أيضاً ومع أن عيون الخلفاء كانت تراقب حركاتهما ودعواتهما إلى مذهب أهل البيت التي كانت في الحقيقة معارضة للخلافة العباسية إلا أن الإمامين لم يباليا بذلك وسلكا طريق الجهر بالحق في أداء رسالتهما.

لقد أوردنا هذه الخلاصة من حياة أئمة الشيعة لنثبت أن فكرة التقية التي ظهرت بالمفهوم الشيعي الخاص إنما ظهرت في أواسط القرن الرابع الهجري وهو بعد الاعلان عن غيبة الإمام الثاني عشر وأنها ظهرت في مستهل عصر الانحراف أو الصراع بين الشيعة والتشيع عندما أرادت الزعامات الشيعية السياسية أن تتخذ العمل السري وسيلة للقضاء على الخلافة العباسية الحاكمة، فأضافت فكرة النص الإلهي كما قلنا إلى الخلافة وأظهرت التقية بمظهر الواجب الشرعي الذي يجب أن يتبعه كل من له عقيدة دينية ويخشى أن يجهر بها أمام السلطة الحاكمة أو الأكثرية المسلمة.

وهكذا أخذت التقية تسري في الفكر الشيعي والعمل الشيعي طيلة قرون عديدة وأخذت طابعاً حزيناً في تكوين الشخصية الشيعية. وإنني لا أشك في أن التقية كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى التخلف الفكري والاجتماعي والسياسي للمجتمعات الشيعية أينما وجدت، فقد سرت في دمائهم ومنعتهم من الظهور بالمظهر الذي كانوا عليه خوفاً أو خجلاً. وحتى في إيران القطر الشيعي والسلطة الحاكمة شيعية خالصة كان الشعب الإيراني يسلك طريق التقية واجباً دينياً لمواجهة بطش السلطان واستبداده فيضمر له بالقلب ما يناقضه في العلن، وهكذا تميز الشعب الإيراني الشيعي كسائر نظرائه من الشيعة بازدواجية الشخصية.

وإنني لا أشك في أن التقية قاتلها الله لعبت دوراً كبيراً في إبقاء الشيعة بعيدة عن الفرق الإسلامية الأخرى كما أنها تسببت في رميها بأمور عجيبة وغريبة ما أنزل الله بها من سلطان وهي بريئة منها. ولكن الدفاع عن تلك الاتهامات والأوهام لاقى صعوبة بالغة بسبب اشتهار الشيعة بالتقية ورميهم باخفاء الحقيقة في كل شيء.

وفي الوقت الذي أكتب فيه هذه السطور وفي عهد وطأت أقدام الانسان على سطح القمر وانتشرت الحرية الفكرية يعيش المجتمع الشيعي مغلقاً على نفسه بالتقية فيظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر. فلا أعتقد أنه يوجد زعيم شيعي واحد في شرق الأرض وغربها يستطيع أن يعلن رأيه حتى في كثير من البدع التي ألصقت بالمذهب الشيعي خوفاً ورهبة من الجماهير الشيعية التي دربتها الزعامات تلك على العمل بتلك البدع فأصبحت جزءاً من كيانها.

إن على الشيعة أن تجعل نصب أعينها تلك القاعدة الأخلاقية التي فرضها الاسلام على المسلمين وهي أن المسلم لا يخادع ولا يداهن ولا يعمل إلا الحق ولا يقول إلا الحق ولو كان عليه.

وليعلموا أيضاً أن ما نُسِب إلى الإمام الصادق من أنه قال : «التقية ديني ودين آبائي» إن هو إلا كذب وزور وبهتان على ذلك الامام العظيم.

الامام المهدي

إن عقيدة ظهور رجل من آل محمد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً عقيدة صحيحة ومليئة بالآمال الخيرة. ولكن علماء الشيعة ألصقوا بالإمام المهدي بدعتان أثقلتا كاهل الشيعة في كل زمان ومكان: بدعة الخمس في أرباح المكاسب وبدعة ولاية الفقيه، فالأولى: تعني دفع ضريبة مالية ما أنزل الله بها من سلطان، والثانية: تعني عبودية الإنسان للإنسان بلا قيد ولا شرط.

تعتقد الشيعة الإمامية أن الامام الحسن العسكري وهو الإمام الحادي عشر للشيعة عندما توفي عام (٢٦٠) كان له ولد يسمى محمد له من العمر خمس سنوات وأنه المهدي المنتظر. وهناك روايات أخرى تقول أن المهدي ولد بعد وفاة والده الإمام العسكري. ومهما كان الأمر فإن الروايات تذكر أنّ المهدي تسلم منصب الامامة بعد والده وبنصّ منه وبقي مختفياً عن الأنظار طيلة خمس وستين سنة. وكانت الشيعة تتصل به في هذه الفترة عن طريق نواب عيّنوا لهذا الغرض، هم: عثمان بن سعيد العمري وابنه محمد بن عثمان وحسين بن روح وآخرهم علي بن محمد السيمري.

وهؤلاء النواب الأربعة لقبوا بالنواب الخاصّون، والفترة هذه تسمى بعصر الغيبة الصغرى. وفي عام (٣٢٩) وقبيل وفاة علي بن محمد السيمري آخر النواب بشهور قليلة وصلت رقعة إليه بتوقيع الإمام المهدي جاء فيها: «لقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله ، فمن ادّعى رؤيتي فهو كذاب مفتر».

وهذا العام هو بداية ما يسمى الغيبة الكبرى . ومنذ ذلك الحين انقطع اتصال الشيعة بالإمام بصورة مباشرة وغير مباشرة، وحتى إذا ادّعى أحد ذلك فالشيعة تكذبه بسبب النص الوارد في آخر خطاب ورد إليهم من الإمام المهدي..هذه هي خلاصة عقيدة الشيعة الإمامية في المهدي المنتظر، ولا تزال الشيعة في كل عام وفي يوم الخامس عشر من شهر شعبان تحتفل بولادة المهدي احتفالا كبيراً، وهو الامام الوحيد الذي تحتفل الشيعة بيوم ولادته فقط أما الأئمة الآخرون فتكون الاحتفالات في أيام مولدهم ووفاتهم على السواء .

وعقيدة المهدي وظهور قائد في آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلا بعد أن

ملئت ظلماً وجوراً موجودة في كثير من الأديان. وهناك أحاديث روتها كتب السّنّة عن النبي الكريم ﷺ حول ظهور مهدي من ولده في آخر الزمان ولكن ليس على وجه التعيين[1].

أما الشيعة فتستند إلى روايات نُسبت إلى أئمتها بأن المهدي المنتظر الذي أخبر به الرسول الكريم ﷺ إنما هو ابن الامام الحسن العسكري.

ولو أن الاعتقاد بوجود المهدي بقي محصوراً في الايمان بإمام من نسل رسول الله ﷺ يظهر في يوم ما ويملأ الأرض عدلاً لكان المسلمون بخير،ولكن مع الأسف الشديد أن فقهاء المذهب الجعفري ألصقوا بالمهدي بدعتان ضالتان ألصقتا بالمذهب الشيعي في عهد الانحراف وظهور الصراع بين الشيعة والتشيع، وهما تتناقضان مع نصوص القرآن الكريم وسيرة الرسول ﷺ وعمل الامام علي والأئمة من بعده، البدعة الأولى: تفسير الخمس بأرباح المكاسب، والبدعة الثانية : ولاية الفقيه.

إن الزعامات المذهبية التي تولت أمور الشيعة الدينية بعد الغيبة الكبرى ولا زالت هي الممسكة بزمام العقيدة الشيعية حتى هذا اليوم كانت وراء هاتين البدعتين. أما الخمس، فيكاد يكون من المتفق عليه عند علماء المذهب الشيعي أنه يشمل أرباح المكاسب والغنائم معاً. إلا أن تفسير الغنيمة بأرباح المكاسب ظهر بعد الغيبة الكبرى بقرن ونصف في الكتب الشيعية. أما ولاية الفقيه فهناك من علماء المذهب من عارضها ولكن لها أنصارها. إلا أن المجمع عليه عندهم أن نوعاً من الولاية التي تشبه صلاحية القضاة في تعيين الوصي على المجنون والقاصر من صلاحيات المجتهدين.

الاجتهاد والتقليد

يستند علماء الشيعة الإمامية في فتح باب الاجتهاد على مرسومين يقال أنهما صدرا عن الامام المهدي قبيل غيبته، والمرسومان وإن كانا يختلفان في المضمون إلا

١- ذكر الترمذي في جامعه أن النبي ﷺ قال:

«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي».

وفي مسند أحمد بن حنبل عن النبي ﷺ : « لا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي ».

أنهما يتفقان في المفهوم وهما:

١- المرسوم الأول: «وأما من الفقهاء من كان صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه».

٢- المرسوم الثاني: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا إلى رواة أحاديثنا».

وبعد الغيبة الكبرى تصدى لشؤون الشيعة الدينية علماء المذهب متتابعين، ولم تنقطع القيادة المذهبية بين المجتهدين والعامة وإن شئت قل بين القاعدة والقمة حتى كتابة هذه السطور وذلك بسبب فتح باب الاجتهاد ووجوب تقليد العوام لرأي المجتهدين. أما طائفة السنة فسدّت هذا الباب لصعوبات بالغة تعترض العمل الاستنباطي، إلا السلفية منهم ففقهاء السلفية يجتهدون في الفروع الفقهية التي لا نص فيها وتخضع لأدلة الاستنباط من الكتب والسنة والاجماع والقياس. أما علماء الشيعة فاستبدلوا القياس بالدليل العقلي واتخذوه الأصل الرابع من أصول الاستنباط. ومن أغرب الأمور أن فقهاء الشيعة ينسبون أنفسهم إلى المذهب العقلي في استنباط الاحكام الشرعية، وهم يسلمون بلا جدل ولا نقاش براويات نسبت إلى أئمة الشيعة وهي تتناقض مع العقل.

الخمس

قال الله تعالى: ﴿واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن للّه خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ..﴾ [الانفال: ٤١].

يقول فضل بن الحسن الطبرسي وهو من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس الهجري في تفسير هذه الآية الكريمة:

«اختلف العلماء في كيفية قسمة الخمس ومن يستحقه على أقوال، أحدهما: ما ذهب إليه أصحابنا وهو أن الخمس يقسم على ستة أسهم: سهم لله وسهم للرسول ﷺ، وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للامام القائم مقام الرسول ﷺ، وسهم ليتامى آل محمد، وسهم لمساكينهم، وسهم لأبناء سبيلهم لا يشاركهم في ذلك غيرهم لأن الله سبحانه حرَّم عليهم الصدقات لكونها أوساخ الناس وعوّضهم من ذلك بالخمس ... وقال أصحابنا إن الخمس واجب في كل

فائدة تحصل للانسان من المكاسب وأرباح التجارة وفي الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما هو مذكور في الكتب. ويمكن أن يستدل على ذلك بهذه الآية»[1].

إن تفسير الغنيمة بالأرباح من الأمور التي لا نجدها إلا عند فقهاء الشيعة فالآية صريحة بأن الخمسْ شرع في غنائم الحرب وليس في أرباح المكاسب وأظهر دليل قاطع على ذلك سيرة النبي الكريم ﷺ وسيرة الخلفاء من بعده ومنهم الامام علي. ولم يذكر أرباب السير من الشيعة الذين كتبوا سيرة النبي الكريم ﷺ ودونوا كل صغيرة وكبيرة عن أوامره ونواهيه أن الرسول ﷺ كان يرسل جباته الى أسواق المدينة ليستخرج من أموالهم خمس الأرباح مع أن أرباب السير يذكرون حتى أسامي الجباة الذين كان الرسول ﷺ يرسلهم لاستخراج الزكاة من أموال المسلمين. والذين ارّخوا حياة الخلفاء الراشدين لم يذكروا قط أن أحداً منهم كان يطالب الناس بخمس الأرباح أو أنهم أرسلو جباة لأخذ الخمس . وحياة الامام علي معروفة في الكوفة فلم يحدث قط أن الامام بعث الجباة إلى أسواق الكوفة ليأخذوا الخمس من الناس أو أنه طلب من عماله في أرجاء البلاد الواسعة التي كانت تحت إمرته أن ياخذوا الخمس من الناس ويرسلوها إلى بيت المال. كما أن مؤرخي حياة الأئمة لم يذكروا قط أنّهم الائمة يطالبون الناس بالخمس أو أن أحداً قدم إليهم مالا بهذا الاسم .

وكما قلنا قبل قليل إن هذه البدعة ظهرت في المجتمع الشيعي في أواخر القرن الخامس الهجري فمنذ الغيبة الكبرى إلى أواخر القرن الخامس لا نجد في الكتب الفقهية الشيعية باباً للخمس أو إشارة إلى شمول الخمس في الغنائم والأرباح معاً. وهذا هو محمد ابن الحسن الطوسي من أكابر فقهاء الشيعة في أوائل القرن الخامس وهو مؤسس الحوزة الدينية في النجف ، لم يذكر في كتبه الفقهية المعروفة شيئاً عن هذا الموضوع مع أنه لم يترك صغيرة أو كبيرة من المسائل الفقهية إلا وذكرها في تآليفه الضخمة .

لقد سنت هذه السنة السيئة في عصر كانت فيه الخلافة العباسية والسلطة الحاكمة لا تعتقد بشرعية مذهب أهل البيت وبالنتيجة لا تعترف بفقهائهم لكي

١- الطبرسي مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٤، ص٥٤٣ .

تخصص لهم مرتبات يعيشون منها كما كانت تفعل لسائر فقهاء المذاهب الأخرى. ولم تكن الشيعة حتى ذلك التاريخ متماسكة بالمعنى المذهبي حتى تقوم باعالة فقهائها، فكان تفسير الغنيمة بالأرباح خير ضمان لمعالجة النقص المالي الذي كان يقلق حياة فقهاء الشيعة وطلاب العلوم الدينية الشيعية آنذاك.

وبعض فقهاء الشيعة ومن بينهم الفقيه أحمد الأردبيلي وهو من أبرز فقهاء عصره أفتوا بعدم جواز التصرف بالخمس في عهد الغيبة الكبرى. كما أن بعض فقهاء الشيعة وهم قليلون أفتوا بأن الخمس ساقط عن الشيعة مستندين على رواية عن الامام المهدي أنه قال: «أبحنا الخمس لشيعتنا».

والواجب أن يترفع الفقهاء والمجتهدون عن أموال الشيعة ولا يرتضون لأنفسهم أن يكونوا عالة على الناس بذريعة ما أنزل الله بها من سلطان.

ولاية الفقيه

ولاية الفقيه بدعة أضيفت إلى سلطة علماء الشيعة، وهي فكرة حلولية دخلت على علماء الشيعة من الفكر المسيحي القائل بأن الله تجسد في الحبر الأعظم وقد دخلت هذه البدعة إلى الفكر الشيعي بعد الغيبة الكبرى وأخذت طابعاً عقائدياً عندما قرّر علماء الشيعة أنّ الامامة منصب إلهي أنيط بالامام خليفةً لرسول الله ﷺ. وبما أن الإمام حيّ ولكنه غائب عن الأنظار ولم يفقد سلطته الإلهية بسبب غيبته فإن هذه السلطة تنتقل منه إلى نوابه لأن النائب يقوم مقام المنوب عنه في كل شيء.

وهكذا أخذت فكرة ولاية الفقيه تشغل حيزاً كبيراً في أفكار فقهاء الشيعة، غير أن كثيراً منهم أنكروا الولاية بالمعنى الذي تقدم ذكره وقالوا إن الولاية خاصة بالرسول ﷺ والأئمة الاثني عشر من بعده ولا تنتقل إلى نواب الإمام، وإن ولاية الفقيه لا تعني أكثر من ولاية القاضي الذي يستطيع تعيين أمين على وقف لا متولي له أو نصب قيِّم على مجنون أو قاصر. ويبدو أن فكرة ولاية الفقيه مع تبني بعض فقهاء الشيعة لها لم تجد الفرصة المواتية للخروج من حيز الفكر إلى حيز العمل إلا بعد أن استلم السلطة في إيران الشاه اسماعيل الصفوي وهو عصر الصراع الثاني بين الشيعة والتشيع.

وهذا المذهب الجديد الذي أملاه الشاه على الشعب الايراني أعطى تماسكاً قوياً للإيرانيين وقضى على كل الآمال التي كانت تراود الخليفة العثماني لضم إيران إلى خلافته، وفي حين أن الشاه كان يرى نفسه قطباً صوفياً وملكاً أسّس للشيعة مجداً لم يؤسّس أحد مثله من قبل إلا أنه استغل فكرة ولاية الفقيه وطلب من علي بن عبد العال الكركي العاملي كبير علماء الشيعة بجبل عامل بلبنان أن يُحْكم له دعائم السياسة والملك ويشرع له الجلوس على كرسي الملك والحكم باسم الولاية العامة التي هي من صلاحيات الفقيه، ولا زالت الكتب التاريخية تحتفظ بالنصوص الواردة في إجازة الكركي للشاه.

ومن كل ما أسلفناه يظهر بوضوح أن فكرة ولاية الفقيه كانت موجودة في الفكر الشيعي وعليها كانت تبنى فكرة عدم شرعية الخلافة الإسلامية أو أية حكومة أخرى إلا إذا أجازها الفقيه الذي يمثل الامام الحي الغائب.

ومنذ أن أدخل الشاه اسماعيل الصفوي الايرانيين في المذهب الشيعي صار للزعامة المذهبية الشيعية نفوذ واسع في إيران يحظى باحترام عظيم من قبل الملوك والحكام. إلا أنه كان يحدث في بعض الاحيان صراع بينهما ينتهي بانتصار أحدهما على الآخر.

وفي تاريخنا المعاصر وهو العصر الثالث للصراع بين الشيعة والتشيع بدأت ولاية الفقيه تظهر على مسارح الأحداث في البلاد الشيعية بصورة حادة وعنيفة أخذت تعصف بكل القيم الدينية والانسانية على السواء.

إن أساس النظرية لدى فقهاء الشيعة يرتكز على الآية الكريمة : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [النساء:٥٩].

ويقول علماء الشيعة إن المقصود من أولي الأمر في الآية الكريمة إنما هو الخليفة أو الامام الشرعي الذي هو الامام علي ومن بعده أولاده حتى الامام المهدي، وفي غيبة الامام المهدي تكون الولاية للفقهاء المجتهدين الذين يحلون محلّ الامام وهم النواب العامون. وإن من يقرأ هذه الآية الكريمة كاملة: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ يعلم علم اليقين أن طاعة أولي الامر تختلف عن طاعة الله ورسوله ﷺ

وأنها طاعة محددة وفي نطاق صلاحيات أنيطت بالوالي حسب طبيعة عمله وأن الحكم فيما تنازع فيه العلماء ليس له كما تنص الآية، الأمر الذي يفقده صلاحية الولاية المطلقة.

وإذا تبّين هذا فكيف يستدل الشيعة بهذه الآية على ولاية الفقيه وإعطائه حق التحكم المطلق في شؤون المسلمين السياسية والاقتصادية والعسكرية، الدينية والدنيوية؟، فاذا كان لا يحق لولي الأمر الفصل فيما حصل فيه التنازع حسب هواه، فهل يمكن القول إن نائب ولي الامر يتمتع بحقوق أكثر منه ؟

وفي إيران وهي مهد ولاية الفقيه في التاريخ المعاصر الذي وصفناه بعصر الصراع الثالث بين الشيعة والتشيع استطاعت ولاية الفقيه أن تحتل الصدارة في الدستور الايراني الجديد وتحتل أهم المواقع الأساسية منه، كما استطاعت أن تسيطر على السلطة المطلقة في البلاد. ولكن مع كل هذا لم يستطع حماة الدستور حل التناقضات الصارخة بين التطبيقات العملية وبين النظرية الفقهية ، ولذلك أصبحت النظرية مهلهلة ضعيفة بجانب القوة المادية الهائلة التي تساندها، ولعل من أولى هذه المفارقات والتناقضات الصارخة التي يتساءل الناس عنها في كل مكان: هل ولاية الفقيه منصب ديني أم سياسي؟ فاذا كانت منصباً دينياً لا يخضع للشورى ولا يخضع للعزل فكل من بلغ مرتبة الفقيه اتصف بصفة الولاية وشملته الحصانة ووجب على المسلمين طاعة أوامره والرضوخ لولايته، فكيف حدث أن فقهاء نكبوا وأهينوا وسجنوا وشرّدوا بسبب مواقفهم الفكرية أو السياسية من سلطان الفقيه الحاكم. أما إذا كانت ولاية الفقيه منصباً سياسياً فلماذا ربط بالدين وبالمذهب وظهر في مظهر العقيدة؟

التصحيح:

لو استطاعت الشيعة العمل بالمنهج التّصحيحي المقترح للخلاص من هذه البدع الثلاث التي مرّ ذكرها لسلكت طريق الشرع والعدل وأراحت نفسها من قيود بشرية غير مشروعة، وهي:

أولاً : التقليد

وهو الأخذ برأي المجتهد والعمل عليه في أحكام الشريعة، والأكثرية الغالبة من الشيعة تعود إلى المجتهدين في المسائل الشرعية وقلما يوجد بيت لا توجد فيه رسالة من الرسائل الفقهية التي ألفها المجتهدون لعوام الناس مثل: (ذخيرة الصالحين) و(صراط النجاة) و (ذخيرة العباد)، وإن المتتبع لهذه الرسائل يجد في أول صفحة منها هذه العبارة: «يجب على كل مكلف عاقل أن يكون مجتهداً أو مقلداً أو محتاطاً أي عارفاً بموارد الاحتياط. وعمل العامي في الفروع من غير تقليد باطل عاطل».

وتعني هذه النظرية التي أجمع عليها فقهاء الإمامية منذ الغيبة الكبرى حتى هذا اليوم أن الذي يعمل بالاحتياط هو في حلّ من التقليد. والعمل الاحتياطي يعني أن يعلم المكلف موارد الاختلاف في المسائل الفرعية ويختار الأقرب منها إلى الصواب. أما في أصول العقيدة فلا يجوز التقليد بل يجب أن يكون المسلم مؤمنا بها عن بصيرة ودراية.

والحل الذي نعرضه على الشيعة هو أن يعملوا بالاحتياط، فليس في العمل الاحتياطي أيّ خروج على المذهب أو مغايرة لاجماع فقهاء الشيعة الأمر الذي يسد على الفقهاء أبواب حث الشيعة على النهوض ضد التصحيح أو تخويفهم بعذاب الله في يوم القيامة.

أما إذا حدثت مسائل لم تتطرق إليها أبواب الفقه من قبل فحينئذ يمكن استشارة المجتهدين لحلها.

الثاني : الخمس

لقد وقع فقهاء الامامية في مأزق عندما قالوا إن نصف الخمس يجب أن يعطى للمجتهد الذي يقلده الشيعي العامي والنصف الآخر يقسم على الفقراء الهاشميين واليتامى وأبناء السبيل منهم، فقد غاب عنهم أنّ هذا الحكم الخاصّ بالمقلِّد يهمل المحتاط الذي لم يأخذ برأي فقيه واحد، فهل الخمس ساقط عنه أم أنه يستطيع التصرف فيه كما يشاء.

ومن هنا يتبيّن أن بدعة الخمس مع إصرار فقهاء الشيعة عليها لم تكن دقيقة وفيها فجوات تؤكد ببطلانها، وأنهّا تخالف سنة الرسول والخلفاء الراشدين وأئمة الشيعة؛ لأن الخمس في الاسلام هو الخمس في الغنائم ولم يكن في أرباح التجارة والمكاسب قط.

ومن هنا أطالب الشيعة في هذه الرسالة التصحيحية وأحثّهم على أن لا يدفعوا هذه الضريبة التي لم ينزل الله بها من سلطان لأي فقيه وتحت أي غطاء. وعوضاً عن ذلك أحثهم على المساهمة في الأمور الخيرية ومساعدة الفقراء والمؤسسات العامة والعلمية مباشرة بلا وسيط. وإذا أرادت الشيعة أن تساعد المحتاجين من علماء الدين فهذا حسن ولكن على أن تكون مساعدة شخصية لقضاء مآربهم الخاصة لا ليكونوا وسطاء جبريين في توزيع الأموال على الغير كما هو شأنهم حتى كتابة هذه السطور.

الثالث: ولاية الفقيه

ولا أعتقد أننا بحاجة لتكرار الطلب من الشيعة أن ترفض هذه البدعة من أساسها وتقف ضِدّها فالفكرة مخالفة لشرع الله في آيات القرآن وفعل الرسول وفقه الأئمة السابقين.



الغلو

قال الله تعالى : ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾ [المائدة: ٧٧].

عندما يميز الله أحداً من خلقه بالعلم والعمل به؛ فهو في غنى عن الخرافات والأوهام التي تنسج حوله وتشوه صورته الوضاءة .

الغلو النظري

هناك مظاهر كثيرة للغلو تبدأ بالغلو النظري وتنتهي بالغلو العملي. والغلو النظري بكل اختصار اعتقاد الانسان أن إنساناً آخر قادر على الاتيان بكرامات أو أمور خارقة لا يستطيع الإتيان بها عامة الناس.

كما أن الاعتقاد بتأثير إنسان –حياً كان ذلك الانسان أو ميتاً– في حياة الاخرين خيراً أو شراً، في الدنيا أوالآخرة، مظهر من مظاهر الغلو.

والغلو النظري المسطور في كتب الروايات والأحاديث ونسبة الأمور العجيبة والخارقة إلى الأئمة والأولياء والمشايخ كانت السبب في تنمية الغلو العملي وما يصدر من عامة الناس في مقابر الأئمة والاولياء والمشايخ في إظهار العبودية وتقديم النذور وطلب المدد المباشر منهم، وأمور أخرى لا تعد ولا تحصى لا يجوز أن يقصد بها غير الله.

وفكرة الغلو تحتل قلوب كثير من المسلمين وغير المسلمين، وتشارك الفرق الأخرى الشيعة في غلوهم في الأئمة والأولياء نستثني منهم (السلفيين) من أهل السّنّة الذين هداهم الله إلى تحطيم القيود التي قيدت معتقدات الناس وعباداتهم منذ قوم نوح.

غير أن الشيعة سبقت فرق المسلمين في الغلوّ كثيراً، ويعود هذا الاسراف في الغلو إلى كتب الروايات التي لم يجرؤ أحد من الفقهاء على تصحيحها. فقد ذكرت كتب الشيعة قصصاً في معجزات الأئمة وفي كراماتهم لا تقل عن تلك التي نجدها في كتب روايات الفرق الأخرى عن الأقطاب والقديسين والأولياء وشيوخ الصوفية.

ولا اريد أن أدخل في جدل عقيم حول هذه الروايات هل هي صادقة أم أنها من نسج الخيال، وأنها حيكت في عصر كانت أذهان العامة لا تطمئن ولا ترضى إلا أن تسمع قصصاً مثيرة عن حياة كبرائهم؟ ولكن النقطة الاساسية التي أرتكز عليها في هذا البحث هي أننا بصفتنا مسلمين نعتقد بأن المعطيات الشرعية أولاً ثم الفعلية ثانياً هي الأحق بالقبول، وهي تغنينا عن السير أشواطاً وراء السراب.

ونحن معاشر الشيعة بالذات قد اتخذنا المذهب العقلي ركيزة لاستنباط أحكامنا الفقهية، وهناك رواية ذكرها الكليني في (أصول الكافي) عن الامام الصادق جاء فيها:

«إن أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر. ثم قال: فبعزتي وجلالي بك أعاقب وبك أثيب».

ومن هنا اتخذت الشيعة تلك القاعدة العقلية التي تقول: كل ما حكم به العقل حكم به الشرع، [والعكس هو الصحيح].

أي أن ما لا يجد العقل بداًّ من قبوله أو رفضه فالشرع يحكم بذلك، ولو سلمنا بذلك فأين موقف العقل من هذه الخرافات التي رواها الرواة عن الأئمة من المعجزات والكرامات؟ وأين العقل من هذا الغلو الجارف الذي يحول بين المرء وربّه؟.

إن المرتبة الانسانية الكبرى التي أنعم الله بها على عباده الصالحين، وهو أعلم بهم، تغنيهم ورب الكعبة من أن ينسج حولهم من الخرافات ما يضحك الثكلى.

وإنّ العصمة التي نسبت إلى الأئمة كما قلنا فيما سبق كان الغرض منها تثبيت تلك الروايات الكاذبة التي تتنافى مع الشرع والعقل والتي نسبت إلى الامام كي يُسَدّ باب النقاش حولها على العقلاء ويرغم الناس على قبولها لأنها صدرت من معصوم لا يخطيء.

وإذا كانت العصمة تعني أن الأئمة مع القدرة على إتيان المعاصي لم يأتوها لعلو في نفوسهم وملكة قوية في أخلاقهم وحاجز يحجزهم عن معصية الله فهذا كلام معقول يتلاءم مع الشرع والعقل. ولكن في هذه الحالة لا نستطيع القول بأن

هذه المزّية خاصة لأئمتنا وحدهم بل أنها صفة يستطيع كل إنسان أن يتصف بها إذا التزم حدود الله وأطاع أوامره وانتهى عن نواهيه.

وفكرة العلم اللدني[1] حجّة شيطانية تمنح صفة العالم من طمع فيها دون أدنى تعلّم أو اقتباس العلوم بلا جهد أومثابرة أوسعي ، وأدهى من ذلك أن بعض علمائنا ذهبوا إلى أن الامام يعلم كل شيء وله معرفة بكل العلوم والفنون ، ولست أدري ما هي الفضيلة في أن يكون مهندساً أو ميكانيكياً أو عالماً باللغة اليابانية. إنما الفضيلة للإمام أن يكون فقيهاً ورعاً وعالماً ربّانيّاً في شؤون الدين، وفي هذا كل الفضل . ثم إذا كان الله تعالى يقول في رسوله الذي أرسله للناس ضياءاً ونوراً: ﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ وينفي عنه أن يملك لنفسه –فضلاً عن غيره– شيئاً بقوله: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله﴾. وينفي عنه العلم بالغيب بقوله: ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾.

فكيف تسوّغ لنا نفوسنا أن ننسب إلى أئمتنا صفات تعلو على صفات رسول الله ﷺ؟ أما المعجزات التي أعطاها الله بعض الأنبياء قبل محمد ﷺ، فقد شاء سبحانه وبحمده أن يقيم بها الحجة على من كذبوا أنبياءه، قال الله تعالى: ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فضلت أعناقهم لها خاضعين﴾.

وأرسل الله رسوله ﷺ بمعجزة القرآن الكريم لتغني عن المعجزات المادية وبياناً للناس وهدى وموعظة للمتقين..وبمحمد وبالقرآن وبالإسلام ختمت الرسالات وختمت المعجزات وكَمُلَ الدين واتّمت النعمة ونزل قول الله صريحاً جلياً : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾ فلا حاجة لادعاء وابتداع كرامات تروّج كذب الأدعياء.

إن من المؤسف حقاً أن الغلو النظري مثل العملي دخل إلى أعماق القلوب عن طريق فقهاء المذهب والمجتهدين الذين قادوا العوام على طريق الوهم ، فهناك أمور نَسَبَتْها كتب الشيعة إلى الأئمة وتبناها فقهاء المذهب وذكرتها كتب الروايات مثل (أصول الكافي) و (الوافي) و(الاستبصار) و (من لايحضره الفقيه) و (وسائل الشيعة) وغيرها من أهم الكتب والمصادر الشيعية، وفي كثير منها الغلو وفي كثير

١– يقصد بالعلم اللدني علم يحصل للمرء بالإلهام وبدون جهد ومثابرة في طلبه، وكلّ العلم من لدن الله.

منها الحط من قدر الأئمة ولكن بصورة غير مباشرة، ومع أننا نستثني قليلاً من علمائنا وبعض مراجعنا حيث اتخذوا موقفاً منصفاً ومعتدلاً من الغلو النظري والعملي ، غير أن الأكثرية منهم ساروا على درب الغلو من ألفه إلى يائه ولعل من أهم مواضيع الغلو:

١- إدعاء العصمة.

٢- إدعاء العلم اللدني.

٣- إدعاء الالهام.

٤- إدعاء المعجزات والكرامات.

٥- إدعاء علم الغيب.

٦- تعظيم ودعاء الأضرحة والمقامات والمشاهد والمزارات.

وهنا أقول بكل صراحة ووضوح: إنني عندما أطلب غربلة الكتب الشيعية وتهذيبها من الروايات التي تسيء إلى العقل الانساني وإلى الاسلام والمسلمين، أطلب في الوقت نفسه من علماء الفرق الأخرى أن تهذّب بدورها كتبها من الروايات التي جاءت فيها وهي لا تقل في الغرابة والسخف عن الروايات التي دُوِّنت في كتب روايات الشيعة [بل هي نسخة منها وتقليد لها].

الغلو العملي

إن الغلو العملي يتجسد في طلب الحاجات الدنيوية والأخروية من الأئمة والاستغاثة بهم بصورة مباشرة . كما أن تقديس الأضرحة ودعاءها هو أمر شائع في مراقد الأئمة والأولياء ومَنْ يُظنّ فيهم الصلاح.

لقد سئمت من المناقشة والمناظرة مع فقهائنا - هداهم الله - حول تقديس الأضرحة وطلب الحاجات من الأئمة وقراءة الزيارة[1] أمام قبورهم، فلم أسمع منهم إلا تكراراً للاحتجاج لتقبيل الأضرحة بتقبيل الرسول الكريم ﷺ الحجر الأسود، في حين أن عمل الرسول ﷺ كان شرعاً من وحي الله لموقع خاص وغرض خاص، وهذا هو الخليفة عمر بن الخطاب وقف أمام الحجر قائلاً: «إني لأعلم أنك

١- أفردنا فصلاً خاصاً لهذا الموضوع.

حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك». إننا لم نسمع ولم نقرأ أن الإمام علياً سمح لاحد أن يقبل يده أو رداءه. وهذا هو الامام الصادق وقد أغضبه رجل عندما أراد أن يقبل عصاه التي يتوكأ عليها بذريعة أنها عصا رسول الله ﷺ فقال له غاضباً: إذاً تقبل ما لايضرك ولا ينفعك. ومن الغريب في استدلال علمائنا بتقبيل النبي الكريم للحجر الاسود وجواز تقبيل الأضرحة بالقياس عليه، أنهم من أشد الناس معارضة للقياس في استنباط الأحكام الشرعية، وكما نعرف وضعوا الدليل العقلي بدلاً من القياس في استنباط الأحكام ولكنهم أخذوا به [لاستحلال الحرام].

لقد زرت مقابر الأولياء في كثير من بلاد المسلمين فرأيت الزائرين فيها على النمط الذي نراه في مشاهد أئمتنا، ودخلت كنائس المسيحيين في كثير من بلاد العالم فرأيت الناس فيها كذلك يتبركون بتمثال المسيح وبأقدام العذراء ويطلبون منهما العون في الدنيا والآخرة، ودخلت معابد البوذيين والشنتو ومعابد الهنود والسيخ فرأيت ما رأيته من قبل في مشاهد المسلمين والمسيحيين معاً من تقديم النذور وطلب الحاجات وتقبيل التماثيل والركوع والخضوع والخشوع. وصدق رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبراً وذراعاً بذراع، حتى لو أنهم دخلوا جحر ضب لسلكتموه»، وهكذا رأيت البشرية تعوم في سراب من الاوهام .

ولقد أكبرت أولئك العلماء السّلفيين الذين منحهم الله الحرص على السنة و اتخذوها مناراً وهداية لهم وللآخرين ووقفوا موقف المنكر لهذه الأعمال. ولنقرأ معا هذه الآيات البينات فنردّ الأمر عند التنازع إلى اللّه:

١- ﴿ومن أضلّ ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾.

٢- ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾.

٣- ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾.

٤- ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾.

٥- ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد﴾.

التصحيح

ومرة أخرى نعود إلى الفكرة التصحيحية الكبرى وهي غربلة الكتب وتنقيحها وتهذيبها من الشوائب والروايات الموضوعية التي جاءت فيها. وإذا كنا ذكرنا بعض أسماء الكتب التي أُلّفت في عهد الصراع الأول بين الشيعة والتشيع، فإن من المهم أن نذكر أن الكتب التي ألفت في العهد الثاني من الصراع أي في عهد الدولة الصفوية لهي أدهى وأمرّ. فلقد جمعت بعض هذه الكتب بين صفحاتها من عجائب الأمور والأقوال ما لا يرتضيه أي عاقل وأيّ محب للنبي وأهل بيته. ومنها على وجه التحديد: «موسوعة بحار الأنوار» الضخمة التي وضعها محمد باقر المجلسي باللغة العربية وفي مجلدات تربو على العشرين . إن هذه الموسوعة هي بحق من أكثر الموسوعات نفعاً وضرراً، فهي في الوقت الذي تجمع في طياتها تراثاً علمياً غنياً فهي تحتوي أيضاً على أقوال ضارة ومواضيع ركيكة أضرت بالشيعة ووحدة المسلمين أعظم الضرر وأكبره وكما ان المؤلف يعترف في مقدمته أنه سماه بحاراً لأنه كالبحر الذي يوجد فيه الصدف والخزف فكتابه أيضاً يحتوي على الضار والنافع شانه شأن البحر، ولكن الخزف الموجود في كتاب البحار قد أضر الشيعة خاصة والمسلمين عامة أكثر من أي أثر آخر أُلفّ حتى الآن في التاريخ الشيعي، [ومثله عند أهل السنة: إحياء علوم الدين للغزالي].

لقد خصص المؤلف شطراً كبيراً من موسوعته لقصص في المعجزات والكرامات تنسب إلى أئمتنا. وهي إنما تصلح لتسلية الأطفال بالباطل.

والجانب الآخر الهدام في (بحار الأنوار): التركيز على تجريح الخلفاء الراشدين بصورة مقذعة في بعض الأحيان، الأمر الذي اتخذه تجار الطائفية البغيضة فرصة مواتية لاثارة العداء بين الشيعة والسنة ولا زالت الكتب التي تؤلَّف ضد الشيعة تركز تركيزاً مباشراً على كتب المجلسي. والمجلسيّ ألَّف كتباً باللغة الفارسية أيضاً وهي لا تقل سوءاً عن موسوعته العربية، ولا شك أن عصر المجلسي وتأييد النظام الحاكم للمذهب الشيعي ولعلماء المذهب كان من أهم عوامل تأليف موسوعة مثل (بحار الأنوار) الكتاب الذي كان يضمن الخلاف الأبدي بين الشيعة في إيران وبين الأكثرية الغالبة من المسلمين الذين كانت الخلافة المجاورة لايران

تحكمهم باسم أمير المؤمنين. والمجلسي الذي ولد في عام ١٠٣٧ هجري وتوفي في عام ١١١١ هجري كان معاصراً للشاه سليمان والسلطان حسين من الملوك الصفويين وعُيِّن برتبة شيخ الاسلام وأنيطت به الشؤون الدينية في إيران.

وقبل أكثر من ثلاثين عاماً عندما أرادت دار للنشر في إيران أن تجدد طبع (بحار الأنوار) في مئة مجلد أمر الإمام الطباطبائي البروجردي الزعيم الأعلى للطائفة الشيعية آنذاك أن يخضع الكتاب للتهذيب والتنقيح ويجرد من كل الروايات والقصص التي فيها تجريح للخلفاء الراشدين ولكن الناشر الذي كان من أكبر تجار الطائفية وبتعاون مع جهات مشبوهة بدأ بطباعة الموسوعة من المجلدات الضخمة التي لا تحتوي على تلك الروايات والقصص المضرة متجاهلاً التسلسل الوارد في الموسوعة، وتم طبع المجلدات الضارة بعد وفاة الامام وعرضت في المكتبات لتكون وقوداً جديداً لإثارة الضغينة والشحناء بين المسلمين.

وفي معرض حديثنا عن غربلة كتب روايات الشيعة لا بد من أن نذكر هنا أن الدفاع الذي يقدمه بعض فقهائنا لصحة الروايات التي نريد غربلتها هو أن علم الدراية أو علم الرجال يساند صحة صدور تلك الروايات عن أئمة الشيعة وصدور بعض المعجزات والكرامات عنهم.

ونحن نتساءل: أيهما أحرى بالقبول والاتباع: علم الدراية والرجال أم كتاب الله الكريم وسنة رسوله وبعدهما العقل؟

وقبل أن أختم هذا الفصل لا بد من الاشارة إلى أنه قد دأب كثير من فقهائنا والمعنيين بالشؤون الشيعية في رفضهم قبول غربلة الكتب المشار اليها من المواضيع التي تقصم ظهر وحدة المسلمين أن يتذرعوا بالقول إن كتب السنة أيضا مليئة بما يجرح الشيعة ويرميهم بالزندقة والكفر والخروج عن الاسلام.

لقد صارحنا فقهاءنا من الشيعة بأن كتبكم طعنت وجرحت الخلفاء الراشدين، وأزواج النبي ﷺ وصحابته الذين لهم مكانة كبرى في قلوب المسلمين، والسنة لا تقول مثل هذا الكلام في أئمة أهل البيت من القرن الأول بل تترضى عنهم وتذكر فضائلهم. ولكن حينما يريد علماء السنة الدفاع عن أعز

وأكرم فئة ترى فيها تجسيداً لسنة رسول الله ﷺ وقد ذكرتها الكتب الشيعية بما لا يليق بمكانتها فلا بد وأن توجه السهام نحو صدور أولئك الذين دوّنوا مثل تلك الأقوال في كتبهم ومن هنا نستطيع القول: إن وطأة الكتب الشيعية وما فيها من كلام جارح على الخلفاء هي أقسى وأشد كثيراً على أهل السنة مما يقوله أهل السنة في الشيعة.

وبما أننا نحاول بعون الله إنهاء هذا الخلاف إلى الأبد ونقدم حلولا تصحيحية تضمن ذلك عاجلاً أو آجلاً، كان لا بد من سلوك طريق الصراحة، ونحن هنا في موقف أمام الله وأمام التاريخ والمسلمين جميعاً، فلذلك نقول إنه توجد في بعض الكتب التي ألفها أهل السنة طعناً في بعض متأخري أئمة الشيعة وبخاصة إمام السرادب، أمّا كبار أئمة آل البيت كعلي والحسن والحسين وزين العابدين وغيرهم من آل البيت فهم أئمة لأهل السنة أيضاً، ومن يجرح هؤلاء يعتبر مجروحاً في موازين أهل السنة أيضا عدا الخوارج الذين أخطأوا في حق الخليفتين عثمان وعلي. ومع أنني أعترف أن كتباً من هذا النوع نادرة جداً الا أنها تؤخذ رأس رمح يمنع القيام بالحركة التصحيحية ويستغلها المتاجرون بالطائفية الذين لا يريدون أن تتم وحدة المسلمين.

وإنني أدعو الله مخلصاً أن يوفق المصلحين من أمة محمد ﷺ إلى غربلة أمثال تلك الكتب أيضا حتى تكون مهمة الإصلاح شاملة وعامة.

زيارة مراقد الأئمة

حتى الآن لم أسمع جواباً شافياً من فقهائنا هداهم الله في تفضيلهم كلام المخلوق على كلام الخالق.

لقد ذكرنا في مبحث الغلو وجه الاشتراك بين الشيعة وسائر الفرق [منذ قوم نوح] في زيارة مراقد الأئمة وقبور الأولياء نستثني منهم السلفيين من أهل السنة، كما أشرنا. وفي هذا الفصل نتحدث عن مورد الاختلاف بينهم وبخاصة ما تنفرد به الشيعة عن غيرها في زيارتها قبور أئمتها. لقد غيرت الشيعة مسار الزيارة لمراقد الأئمة التي يجب أن تكون شرعية إلى زيارة سياسية إعلامية تثقيفية ومذهبية [وفي الواقع وثنية].

إن مئات الآلاف من الشيعة تزور مراقد الأئمة في إيران والعراق كل يوم وفي آناء الليل وأطراف النهار وعلى ما أعلم لا يوجد بين هذه الأكثرية الغالبة شيعي واحد يتبع الشريعة في الزيارة فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستاخرين»، كما كان يفعل الرسول ﷺ وآل بيته. إن العادة جرت للشيعة منذ قرون أن تقرأ أمام قبور أئمتها عبارات مطولات اسمها (الزيارة) التي تجمع بين طياتها مدحاً للأئمة وثناء عليهم وتنديداً بأعدائهم ثم قليلاً من الدعاء. وقلما يوجد بيت للشيعة لا يتوفر فيه كتاب (مفاتيح الجنان) وهو الكتاب الذي يحتوي على مئات من الزيارات للأئمة ولأولادهم وكلها على نمط متشابه وبفارق صغير في بعض الأحيان. ولنقرأ معاً بعض المقاطع من (الجامعة الكبيرة) وهي من أهم الزيارات شأناً عند الشيعة وتقرأ عند قبر كل إمام من الأئمة. روى الصدوق في كتابه (الفقيه) أن الامام العاشر علي ابن محمد الجواد علّم أحد خواصّه وهو موسى بن عبدالله النخعي هذه الزيارة:

«السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي وأمناء الرحمن وسلالة النبيين وصفوة المرسلين وعترة خيرة رب العالمين .... أشهد أنكم الأئمة الراشدون المهديون المعصومون المكرمون المقربون المتقون الصادقون...... الراغب عنكم مارق واللازم لكم لاحق والمعترض في حقكم زاهق والحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعدنه، وميراث النبوة عندكم

وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم وفصل الخطاب عندكم وعزائمه فيكم .. من والاكم فقد والى الله ومن عاداكم فقد عادى الله ومن أحبكم فقد أحب الله ومن أبغضكم فقد أبغض الله .... أشهد الله وأشهدكم أنني موال لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومعاد لهم سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم ، بكم يسلك إلى الرضوان وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن»[١].

وهكذا تستمر الزيارة بمثل هذه العبارات وتختم بعد ذلك بدعاء قصير.

إن الزيارة التي ذكرنا مقطعاً منها هي أكثر الزيارات اعتدالاً [مع خروجها عن الشريعة في دعوى العصمة للأئمة وإياب الخلق إليهم وحسابهم عليهم...إلخ]. إلا أن هناك زيارات أخرى كثيرة فيها عنف وشدة وتجريح للخلفاء الراشدين، وطابعها العام التنديد بظالمي آل محمد والاعتراف بفضل علي وأولاده وأحقيتهم بالإمامة. وهناك زيارات كثيرة تخص الامام الحسين تحتوي على التنديد بالأمويين مع السب الصريح لكثير منهم بسبب قتلهم الحسين. ولا شك أن مقتل الإمام الحسين في واقعة كربلاء من أهم الاسباب التي أدت إلى إعطاء السب والشتم صفة دينية أدخلت في الزيارات التي تُقرأ أمام قبور الأئمة وأولادهم حتى هذا اليوم. ومن خلال تفحصي للزيارات التي ذكرتها كتب الزيارات مثل (مزار البحار) و (مفتاح الجنان) و (ضياء الصالحين) وغيرها يبدو لي واضحاً أن أسماء الخلفاء الراشدين دخلت في بعض هذه الزيارات صراحة أو تلميحاً في وقت متأخر عن العصر الذي كتبت فيه هذه الزيارات فلذلك لا نجد لها ذكراً إلا في بعضها.

إن من يفكر مليّاً بالأسباب الكامنة وراء وضع هذه الزيارات وشيوع قراءتها أمام قبور الأئمة والانصراف الكامل عن صفة السلام الشرعية ليعلم أن الغرض منها إنما هو نشر الثقافة المذهبية والتركيز على أهم مبادئها وهو أحقية الأئمة بالخلافة. وعندما نعود إلى الأسباب الكامنة وراء الاجتماعات التي تحصل عند قبر الامام الحسين باسم زيارته نعلم أنها كانت لقاءات بين الشيعة التي تفد إلى قبر الحسين من أقاصي البلاد لنشر المذهب الشيعي والتنديد بخلافة الامويين ثم العباسيين بعدهم، وأنها كانت تظاهرات شيعية لتوحيد الصفوف ونشر أهداف المذهب الشيعي.

ولهذا فإنني لا أستغرب أبداً عندما أقرأ في كتب الروايات التي بين أيدينا

١- مفاتيح الجنان، القمّي، ص١٠٠٨ .

روايات تنسب إلى الشيعة تحثّ الناس على زيارة الإمام الحسين، وقد جاء في بعضها : «لكل خطوة يخطوها الزائر في سبيل زيارة الحسين له قصر في الجنة». حتى أنهم جعلوا لكربلاء مقاماً أعلى من الكعبة فقد قال أحد الشيعة:

وفي حديث كربلا والكعبة لكربلا بان علو الرتبة

كما أن رواية أخرى قالت: «إن من بكى على الحسين أو تباكى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

إن مثل هذه الروايات وعزوها للأئمة أعطت حيوية خارقة في السعي للوصول إلى كربلاء مع صعوبة الاسفار ومشاقها وخطورتها في تلك العهود ولذلك كانت كربلاء في عهد الخلافة الاموية والعباسية تشهد المظاهرات الشيعية الكبرى في شهر محرم وصفر ولا سيما العاشر من محرم وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين.

وواضح أن واضعي صيغ هذه الزيارات استطاعوا تفهم النفسية الشيعية في عهد الامويين والعباسيين تفهماً جيّداً فجاءت استمراراً منظماً لمقاومة الخلافة. وهكذا أصبح التثقيف المذهبي عن طريق تلك الزيارات عامّاً وشائعاً وشاملاً رغماً عن إرادة السلطة الحاكمة.

وقد قيل: إن المتوكل العباسي منع الناس من زيارة الإمام الحسين وأمر بحرث مزاره حتى يخفي معالمه عن الناس. [كما يروى عن فعل الصحابة بقبر ينسب الى دانيال حتى لا يفتن الناس في دينهم].

واليوم وبعد أن انتهى كل شيء ولا يوجد للأمويين ولا للعباسيين وخلافتهم أثر في العالم الاسلامي ولا لذلك التطاحن الفكري حول الخلافة والخلفاء فهل علينا معاشر الشيعة أن نسير في الطريق نفسه الذي سرنا عليه زهاء ثلاثة عشر قرناً ونقف أمام قبور الأئمة ونردد كلاماً رددناه منذ قرون لا فائدة ترجى من ورائه ولا أثر يترتب عليه؟ إلا مخالفة السّنّة. ثم إلى متى نفضّل كلام المخلوق على الخالق؟ وما هي الفائدة التي يجنيها الأئمة أنفسهم من قراءة هذه الكلمات أمام قبورهم وهي مخالفة لما كان عليه محمد ﷺ وآله وصحبه ومتبعوا سنته. أليس من الخير والعدل أن نأخذ بسنة النبي الكريم؟ فان فيها الثواب والرحمة وفيها النور والهدى ليس للزائر فحسب بل وللمزور وإن كان نبياً أو إماماً أو صالحاً.

التصحيح

من كل ما أسلفناه يظهر بوضوح أن هذه الزيارات إنما هي رسائل تثقيفية وضعت في عهد كانت الشيعة فيه تشعر بحاجة إلى الإنعزال وإني لا أشك أن الامام علياً لو استمع إلى بعض الفقرات التي جاءت في تلك الزيارات وفيها إعطاء الأئمة صفات تفوق صفات البشر وتكون قريبة من صفات الله أو شريكة معه لأقام الحد على قارئها وواضعها على السواء.

وهنا أطلب من الشيعة في كل الأرض أن تفكر ملياً في زيارتها لقبور الأئمة بهذه العبارات المؤذية لها وللأئمة. كما أود أن أحمل المسئولية مرة أخرى على الزعامات المذهبية التي عودت الشيعةعلى هذا الطريق ، فحتى هذا اليوم لم أصادف مرجعاً من مراجع الشيعة وهو يزور القبور يردد ما ردده الرسول ﷺ عند زيارة البقيع، ولست أدري لماذا نحن معاشر الشيعة نترك كلام رسول الله ﷺ ونركن إلى كلام المخلوق، وحتى على فرض صحة صدورها من أحد الأئمة فلماذا نفضل كلامه على كلام رسول الله ﷺ [وهو وحي يوحى].

وإذا كان الغرض من الزيارة الحصول على ثواب الآخره فمتابعة السنة النبوية تضمن ذلك الثواب، وإذا كان الغرض منها إكرام الإمام فالمتابعة تضمن له ذلك أيضاً.

وأختم هذا الفصل بحديث روته كتب السّنّةعن رسول الله ﷺ الذي قال: «تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وسنتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً».

وفي رواية: «تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً» فما أحسن وأفضل وأجمل للشيعة أن تأتمر بأمر رسول الله ﷺ وتتبع سنته وسنة صحابته وآل بيته [وتجتمع مع أهل السّنّة على ذلك].

ضرب القامات في يوم عاشوراء

لم تشوّه سيرة عطرة في التاريخ كما شوهت الشيعة سيرة الحسين بذريعة حبّه.

نرى لزاماً أن نفرد فصلاً خاصاً لضرب السلاسل على الأكتاف وشج الرؤوس بالسيوف والقامات في يوم العاشر من محرّم حداداً على الامام الحسين.

هذه العملية البشعة لا زالت جزءاً من مراسيم الاحتفال باستشهاد الامام الحسين وتجري في إيران وباكستان والهند وفي النبطية بلبنان في كل عام وتكون السبب في حدوث صراع دموي بين الشيعة والسنة في أجزاء من الباكستان تذهب ضحيته المئات من الأرواح من الفريقين.

وفي كربلاء وحول قبر الحسين يمرّ الزوار مواكب وآحاداً وهم يقرأون الزيارات التي أشرنا إليها مع بكاء ونحيب، إنها العادة التي لا زالت جارية في المجالس التي تقام للامام الحسين في العالم الشيعي فلا بد من ختمها بالبكاء لأن : «من بكى أو تباكى على الحسين وجبت عليه الجنة» كما جاء في بعض الروايات التي تنسب إلى الأئمة ، ومعاذ الله أن يصدر من أحدهم كلاماً كهذا.

كما أن الشيعة كانت تلبس السواد في شهر محرم وصفر حداداً على الحسين، وهذه العادة أخذت بالتوسع في عهد الصراع الأول بين الشيعة والتشيع وعندما ظهرت الشيعة على مسرح الأحداث السياسي قوةً تريد الاطاحة بالخلافة الحاكمة، وكان للبويهيين الذين حكموا إيران والعراق باسم حماة الخلافة العباسية دوراً بارزاً في تنمية الاحتفالات في أيام عاشوراء.

ولكن هذه الاحتفالات أخذت طابعاً عاماً وأصبحت جزءاً من الكيان الشيعي عندما استلم السلطة الشاه إسماعيل الصفوي وأدخل إيران في التشيع وأحدث تماسكاً مذهبياً للوقوف أمام أطماع السلطان العثماني المجاور لإيران، وكان البلاط الصفوي يعلن الحداد في العشر الأول من محرم من كل عام، ويستقبل الشاه المعزين في يوم عاشوراء، وكانت تقام في البلاط احتفالات خاصة لهذا الغرض تجتمع فيها الجماهير ويحضرها الشاه نفسه، كما أن الشاه عباس الأول الصفوي

الذي دام حكمه خمسين عاماً وهو أكبر الملوك الصفويين دهاء وبطشاً كان يلبس السواد في يوم عاشوراء ويلطخ جبينه بالوحل حداداً على الإمام الحسين، وكان يتقدم المواكب التي كانت تسير في الشوارع مرددة الأناشيد في مدح الامام ثم التنديد بقتلته.

ولاندري على وجه الدقة متى ظهر ضرب السلاسل على الأكتاف في يوم عاشوراء وانتشر في أجزاء من المناطق الشيعية مثل ايران والعراق وغيرهما، ولكن الذي لا شك فيه أن ضرب السيوف على الرؤوس وشجّها حداداً على الحسين في يوم العاشر من محرم تسرب إلى إيران والعراق من الهند إبان الاحتلال الانكليزي لتلك البلاد، وكان الانكليز هم الذين استغلوا جهل الشيعة وسذاجتهم وغلوهم في الإمام الحسين فشجّعوا ضرب القامات على الرؤوس بقصد التفرقة.

وإلى عهد قريب كانت السفارات البريطانية في طهران وبغداد تمول المواكب الحسينية التي كانت تظهر بذلك المظهر البشع في الشوارع والأزقة، وكان الغرض من تنميتها لهذه العملية البشعة هو إعطاء دليل معقول للشعب البريطاني وللصحف الحرة التي كانت تعارض بريطانيا في استعمارها للهند ولبلاد المسلمين الأخرى وإظهار شعوب تلك البلاد بمظهر المتوحشين الذين يحتاجون إلى قيّم ينقذهم من مهامه الجهل والتوحش، فكانت صور المواكب التي تسير في الشوارع في يوم عاشوراء وفيها الآلاف من الناس يضربون بالسلاسل على ظهورهم ويدمونها وبالقامات والسيوف على رؤوسهم ويشجونها تنشر في الصحف الانكليزية والأوروبية. وكان الساسة الاستعماريون يتذرعون بالواجب الانساني في استعمار تلك البلاد المتخلفة ولحمل تلك الشعوب على جادة المدنية والتقدم. وهنا أذكر كلاما طريفاً حكيماًسمعته من أحد أعلام الشيعة ومشايخهم قبل ثلاثين عاماً. لقد كان ذلك الشيخ الوقور واقفاً بجواري وكان اليوم هو العاشر من محرم والساعة الثانية عشرة ظهراً والمكان هو روضة الامام الحسين في كربلاء، وإذا بموكب المطبرين الذين يضربون بالسيوف على رؤوسهم ويشجونها حداداً وحزناً على الحسين يدخلون الروضة في أعداد غفيرة والدماء تسيل على جباههم وجنوبهم بشكل مقزز تقشعر من رؤيته الأبدان ، ثم أعقب الموكب موكب آخر وفي أعداد

غفيرة أيضاً، وهنا سألني الشيخ العالم الحر: ما بال هؤلاء الناس وقد أنزلوا بأنفسهم هذه المصائب والآلام؟

قلت: كأنك لا تسمع ما يقولون، إنهم يقولون: (واحسيناه) أي لحزنهم على الحسين، ثم سألني الشيخ من جديد: «أليس الحسين الآن في مقعد صدق عند مليك مقتدر؟» قلت: نعم، فقال بلهجة كلها حزن وألم: ويلهم من جهلة أغبياء، لماذا يفعلون بأنفسهم هذه الأفاعيل حزناً على من هو الآن في جنّات النعيم. وفي عام (١٣٥٢) هجري عندما أعلن كبير علماء الشيعة في سوريا محسن الأمين العاملي تحريم مثل هذه الأعمال وأبدى جرأة منقطعة النظير في الافصاح عن رأيه وطلب من الشيعة أن يكفوا عنها لاقى معارضة قوية من داخل صفوف العلماء الذين ناهضوه ووراءهم الهمج الرعاع. وكادت خطواته الاصلاحية تفشل لولا أن ساند جدنا أبو الحسن بصفته الزعيم الأعلى للطائفة الشيعية موقف العلامة الأمين ورأيه في تلك الأعمال معلناً تأييده لفتواه. ومع أن كثيراً من الفقهاء والمجتهدين وقفوا موقفاً معارضاً لجدي أبي الحسن كما وقفوا للأمين من قبل إلا أن أبا الحسن تغلب على الجميع بسبب مقامه الرفيع وصموده. وبدأت تلك الاعمال تختفي رويداً رويداً إلا أنها لم تندثر تماماً حيث بقيت لها مظاهر ضعيفة وهزيلة حتى توفي جدنا رحمه الله في عام (١٣٦٥) هجري وأخذت بعض الزعامات الشيعية الجديدة تحث الناس على تلك الاعمال من جديد فبدأت تنمو مرة أخرى في العالم الشيعي ولكنها لم تصل إلى ما كانت عليه من قبل.

وبعد أن أعلنت في إيران الجمهورية الاسلامية وتولت ولاية الفقيه السلطة صدرت الأوامر بإحياء تلك الأعمال جزءاً من السياسة المذهبية وأخذت الجمهورية الاسلامية الفتية تساعد الفئات الشيعية في كل الأرض وتحثهم ماليّاً ومعنويّاً لإحياء هذه البدعة التي شجّعتها السياسة الاستعمارية الانكليزية في العالم الشيعي قبل مائتي عام. وعندما أكتب هذه السطور تشاهد المدن الايرانية والباكستانية والهندية واللبنانية مع الأسف الشديد في يوم العاشر من محرم من كل عام مواكباً تسير في شوارعها بالصورة التي رسمناها، وقبل أن تنتهي ساعات ذلك اليوم فإن صوراً من تلك الهمجية والجنون المفزع تعرض على شاشات التلفزة في شرق الارض وغربها لتعطي قوة لأعداء الاسلام للطعن فيه.

التصحيح

إن على الطبقة المثقفة من الشيعة الامامية أن تبذل قصارى الجهد لمنع الجهلة من القيام بمثل هذه الأعمال التي مسخت وشوهت ثورة الامام الحسين. وعلى الوعاظ والمبلغين أن يقوموا بدور أكثر وضوحاً وقوة لكي نبني أنفسنا في ذكرى الحسين لا أن نهدمها، وأن نعطي للحسين حقه في ساحة النضال لا أن نشوهه ونسيء إليه. هذا إن كنا حقاً من أنصار الحسين ومحبيه.

الشهادة الثالثة

أجمع فقهاء الشيعة الأول على أن من قال الشهادة الثالثة بقصد (الورود) فقد عمل عملاً محرّماً.

يقول المرتضى وهو من أكابر علماء الشيعة الإمامية في القرن الخامس الهجري إن من قال في أذان الصلوات «أشهد أن علياً ولي الله» فقد أتى بعمل محرّم. ويبدو لي أن الشهادة الثالثة دخلت في أذان الصلوات بعد الغيبة الكبرى ولكنها لم تظهر ظهوراً رسمياً إلا بعد أن أدخل الشاه اسماعيل الصفوي إيران في التشيع وأمر المؤذنين بادخال الشهادة الثالثة في أذان الصلوات من على المآذن ومنذ ذلك الحين ومساجد الشيعة في العالم تسير على الطريقة التي نمّاها ونشرها الشاه الصفوي.

ومن الغريب في هذه الظاهرة أن فقهاءنا -هداهم الله- يُجمعون إجماعاً مطلقاً على أن هذه الشهادة أدخلت في أذان الصلوات في وقت متأخر وأنها لم تكن معروفة حتى القرن الرابع الهجري، ومع كل هذا لم يمنع أحد من فقهائنا الشهادة الثالثة بل وقفوا موقف المناوئ لتلك القلة القليلة من فقهائنا الذين عارضوا هذه البدعة ورموهم بالخروج من التشيع والبراءة من علي وأولاده.

وهنا تظهر تلك العصبية العمياء التي تسود قلوب بعض الفقهاء والجهال معاً حيث يكون بعضهم لبعض ظهيراً.

لقد سئمت من المجادلة في هذه المسألة مع فقهائنا فهناك أجوبة تعودوا عليها منذ قرون خلت ولا جديد فيها فهم يقولون: إن الشهادة الثالثة ليست جزءاً من الصلاة حتى تفسدها فلذلك لا مانع من إدخالها فيها.

وقد قلنا لهم أن المسألة ليست ما إذا كانت الشهادة الثالثة جزءاً من الصلاة أم لا، بل حقيقة الأمر أن للأذان صيغة أقرها الرسول ﷺ فصارت سنة توقيفية لا يجوز الحذف منها ولا الاضافة إليها حتى لو كان للكلمات الاضافية موقع من الصحة.

ثم قالوا : إن الشهادة الثالثة صارت شعاراً للشيعة.

فقلنا لهم: إن شعار الاسلام أهم من شعار التشيع، وهل الشيعة شيء والإسلام شيء آخر حتى تحتاج إلى شعار تعرف به؟ [إن كان التشيع من الإسلام فالإسلام يغني عنه، وإن لم يكن منه فلا خير فيه ويجب نبذه].

وهنا أرادوا ان يلقوا المسؤولية على عاتق غيرهم فقالوا:

لانستطيع أن نطلب من الشيعة ترك الشهادة الثالثة في أذان الصلوات لأنها صارت جزءاً من كيانها فكلامنا يذهب هباء منبثاً.

قلنا لهم: لو أنكم اجتمعتم على رأي واحد وبينتم حكم الله بصراحة وشجاعة لم يتخلف عنه الناس. ثم إن واجبكم هو بيان حكم الله وليس قسر الناس على تنفيذه.

وقالوا: أيضاً: إن الخليفة عمر بن الخطاب حذف من الأذان حي على خير العمل ووضع الصلاة خير من النوم.

قلنا لهم: لو صح هذا الأمر لما أقره الامام عليّ في عهد خلافته، وحسب أصولكم عمل الإمام حجة. ثم إن المجمع عليه عندكم أن الشهادة الثالثة لم تكن موجودة في عهد الرسول ﷺ ولا الأئمة وأنها أضيفت إلى الأذان في وقت متأخر.

ولكن عبارة: «الصلاة خير من النوم» أمر اختلافي، فالفرق الأخرى عدا الشيعة تجمع على أنها وردت في عهد الرسول ﷺ بخلاف الشيعة التي تنسبها إلى الخليفة عمر بن الخطاب، والفرق كبير بين مسألة إجماعية لا يختلف عليها اثنان ومسألة اختلافية.

التصحيح

إنني لا أشك أبداً أن الشهادة الثالثة التي صارت الآن جزءاً من أذان الصلاة عند الشيعة في مساجدها قد تجاوزت عمل الفرد وأخذت طابعاً عاطفياً واجتماعياً ومذهبياً ليس من السهل تغييره، لا سيما أن في المنطقة دولة مذهبية تنمي العواطف المذهبية وتستغلها في صراعها السياسي مع دول المنطقة المجاورة التي معظم سكانها

من السنة. ولذلك تلاقي عملية التصحيح داخل إيران صعوبة بالغة شانها شأن سائر الخطوات التّصحيحيّة التي نادينا بها.

وقد يأتي يوم يتغير فيه نظام الجمهورية الاسلامية المتطرف في إيران إلى نظام معتدل يكون من مبادئه: وحدة المسلمين ومصلحة الاسلام فحينئذ تكون الاستجابة لنداء التصحيح حتى في الشهادة الثالثة أمراً طبيعياً. ولكن في الوقت الحاضر يجب علينا أن نطلب من الشيعة في أي مكان من الأرض يصله نداء التصحيح أن تسعى جاهدة للعودة إلى الأذان الذي كان عليه العمل في عهد الرسول ﷺ والامام علي وأئمة الشيعة وأن الواجب الملقى على عاتق الطبقة الواعية والمثقفة من أبناء الشيعة أن تؤدي دورها في الاصلاح وتصحيح المذهب الذي تنتمي اليه [وإزالة مظاهر انعزال الشيعة عن بقية المسلمين].

المتعة

كيف تحترم أمّه شرف الأمهات اللواتي جعل الله الجنة تحت أقدامهن وهي تبيح المتعة أو تعمل بها.

يقصد بالمتعة الزواج المؤقت الذي تعمل به الشيعة في إيران وقد يعمل به في مناطق أخرى حيثما توجد فيها لو استطاعت إليه سبيلاً.

والجدل الفقهي الذي مرت عليه قرون عديدة وحفظته بطون الكتب الفقهية والتفاسير وسواها لا فائدة ترتجي من ورائه. ولكنني أريد أن أضع صورة مختصرة أمام القراء عن هذا النزاع الفقهي وأعرج بعد ذلك على الأخطار الهائلة التي تحدق بالشيعة اجتماعياً وأخلاقياً وإنسانياً إذا لم تنبذ هذه الفكرة السيئة من أساسها. وأنا أحمّل الفقهاء المسؤلية الأولى والأخيرة في جرّ الشباب من أبناء الشيعة إلى هذا الدرب الشائك المشين، وعلى عاتقهم تقع المسؤلية كل المسؤلية.

يقول فقهاء الشيعة -هداهم الله-: إن المتعة كانت مباحة في عهد الرسول الكريم ﷺ وفي عهد الخليفة أبي بكر وفي شطر من عهد الخليفة عمر بن الخطاب حتى حرّمها وأمر المسلمين بالكف عنها، وهم يستدلون على ذلك بروايات عديدة رويت في كتب الشيعة وبعض كتب السنة.

أما الفرق الأخرى فيقولون : أُحلّت لضرورة ثم حُرّمت يوم خيبر أو يوم الفتح الأكبر هذه هي خلاصة النزاع الفقهي الذي يدور حول المتعة منذ أكثر من ألف عام. ومن المؤسف حقاً أن بعض علماء الشيعة انبرى للدفاع عن الزواج المؤقت وألفوا في ذلك الكتب وهم بذلك فخورون، ولا أعتقد أنني أحتاج إلى عناء كثير لتوضيح الصورة الحقيقية لهذه البدعة المخلة بالذوق والحياء والكرامة.

إن الزواج المؤقت أو المتعة حسب العرف الشيعي هو ليس أكثر من إباحة النكاح بشرط واحد فقط وهو أن لا تكون المرأة في عصمة رجل وحينئذ يجوز نكاحها بعد أداء صيغة الزواج التي يستطيع الرجل أن يؤديها في كلمتين ولا تحتاج إلى وليّ ولا إلى شهود ولا إلى نفقة وللمدة التي يشاؤها مع الاحتفاظ بسلطة مطلقة لنفسه وهو الجمع بين ألف زوجة بالمتعة لو أراد.

إن النظرية الفقهية القائلة بأن المتعة حُرِّمت بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب يفنّدها عمل الامام عليّ الذي أقرّ التّحريم في مدّة خلافته. وحسب رأي فقهائنا عمل الامام حجة لا سيما عندما يكون مبسوط اليد ويستطيع إظهار الرأي وبيان أوامر الله ونواهيه. فإذن إقرار الامام عليّ التحريم يعني أنها كانت محرمة منذ عهد الرسول ﷺ ولولا ذلك لكان يعارضها ويبين حكم الله فيها ، وعمل الامام حجة على الشيعة ولست أدري كيف يستطيع فقهاؤنا أن يضربوا بذلك عرض الحائط.

إن الوحي جاء بتكريم الانسان، كما يقول الله تعالى : ﴿ولقد كرَّمنا بني آدم﴾ ويقول رسول الاسلام ﷺ «إنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق».

وهذا التكريم يشمل الرجل والمرأة على السواء، والأخلاق التي جاء رسول الله ﷺ ليتمّ مكارمها للجنسين على السواء، فأين يكون موقع المرأة وكرامتها من قانون المتعة؟ إن موقعها من هذا القانون هو الذل والهوان، وشأنها كالسِّلَع التي يستطيع الرجل أن يكدسها واحدة فوق الأخرى وبلا عد ولا حد. إن المرأة التي شرفها الله بأن منحها مرتبة لم يمنحها لغيرها حيث جعل الجنة عند أقدامها كما قال الرسول الكريم ﷺ ، لا يليق بها أن تقضي أوقاتها بين أحضان الرجال واحداً بعد الآخر باسم شريعة الإسلام.

لقد أراد بعض فقهائنا – هداهم الله – أن يصوروا المتعة وكأنها فضل من الله حيث شرع شرعاً يمنع الرجل من الوقوع في الزنى ولكن غَرُب عن بالهم أن الاسلام ليس دين الرجال فحسب بل أنزل للناس كافة النساء والرجال، [وأن المتعة لم تمنع الزنى].

إن الاسلام جاء ليخرج الناس من إباحية الجاهلية ويقيدهم بالفضيلة والأخلاق لا أن يمنح الجاهلية ومظاهرها قداسة التشريع الالهي.

والاسلام قد حرّم الجمع بين أكثر من أربع زوجات، وجعل لتعدد الزوجات شرطاً بيّنه الله تعالى بقوله: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾.

وهنا أضع أمام القاريء صورتين للزواج، إحداهما متفق عليها عند المسلمين جميعاً بما فيهم الشيعة وهو الزواج الدائم، والثانية: هي المتعة التي يفتي بجوازها فقهاء الشيعة الإمامية وحدهم :

شروط الزواج الدائم المتفق عليه لدى المسلمين كافة.	المتعة عند الشيعة الامامية وحدهم:
١- يتم الزواج بين الزوجين بلفظ صيغة العقد أمام شاهدين عدلين.	١- يتم الزواج بلفظ صيغة العقد بدون شاهد.
٢- يجب على الزوج النفقة على الزوجة من سعته.	٢-الرجل في حل من نفقة الزوجة.
٣-لايجوز للرجل أن يجمع أكثر من أربع زوجات بشرط تحقق العدل بينهن.	٣- يجوز للرجل الجمع بين عدد لا يحدّه إلا شهوته، وبلا شرط العدل.
٤-الزوجة ترث الزوج في حال الوفاة.	٤- الزوجة لا ترث الزوج.
٥- موافقة الأب شرط في صحة زواج البكر.	٥- موافقة الأب ليست شرطاً في كل الأحوال.
٦-مدة الزواج ديمومة الزوجين على قيد الحياة. إلا بالطلاق ومثله الايلاء والخلع.	٦-مدة الزواج المؤقت قد تكون ربع ساعة وقد تكون يوماً وقد تكون تسعين عاماً حسب ما يتفق الرجل والمرأة عليه.
شروط الفسخ	**شروط الفسخ**
١- يقع الطلاق بحضور شاهدين عدلين بلفظ صيغة الطلاق.	١- يقع الطلاق بدون حضور شاهدين وبكلمة فسخت أو وهبت المدة.
٢- عدة الطلاق للمرأة ثلاثة قروء.	٢- عدة فسخ المدة بالنسبة للمرأة هي عدة الجارية بعد عتقها، أي نصف عدة الحرة.
٣- يجب على الزوج نفقة الزوجة المطلقة في مدة عدتها.	٣- الفسخ يقع في كل الأحوال.
	٤- الرجل في حلٍّ من نفقة الزوجة في عدة الفسخ.

إن نظرة فاحصة على هذا الجدول تغنينا عن الكلام عمّا في المتعة من المفاسد والمخالفات، وأعتقد جازماً أن نداء التصحيح سيجمع حوله من أبناء الشيعة كل من كان له قلب أو عقل يستطيع أن يدرك بهما فداحة الخطب والهوان والسخرية في أمر هو أظهر من الشمس في منتصف النهار.

التصحيح

المسألة هنا من أخطر محاولات التصحيح الأخرى، إنها حالة مذهلة من السوء دخلت إلى الفكر الشيعي. والروايات التي تقول بالحلّ لأنها كانت مباحة حتى حرمها الخليفة عمر بن الخطاب كلها روايات مرفوضة تحلّ ما حرّم الله وتشوه صورة الإسلام المضيئة. وقد أدركت الفرق الاخرى خطورة الفكرة ومفاسدها فوقفت منها موقفاً يتسم بالحق والعدل والفضيلة. أما فقهاؤنا فلم يأبهوا لذلك حرصاً منهم على مخالفة جمهور المسلمين استناداً على رواية نسبت إلى الامام الصادق زوراً وبهتاناً تقول: «الرشد في خلافهم» أي الرشد في خلاف رأي السنة والجماعة ، فأحلوا المتعة اللعينة المقيتة وأجازوها.

وإضافة إلى هذه العقدة المستعصية لدى فقهائنا في استنتاجاتهم الفقهية فان فكرة الزواج المؤقت على ما يبدو لي استخدمت في جذب الشيعة ولا سيما الشباب منهم للالتفاف حول المذهب لما فيها من امتيازات خاصة لا تقرها المذاهب الأخرى. ولا شك أن الاغراء الجنسي المباح باسم الدين يستقطب أصحاب النفوس الضعيفة في كل عصر ومصر، ولذلك فاني لا أستغرب أبداً عندما أقرأ في كتب الشيعة روايات كاذبة تنسب زوراً إلى أئمتنا في فضل المتعة وثوابها وحث الناس على العمل بها.

وهمّنا هنا يتجه إلى خلاص الأمة الشيعية منها باذن الله وإرادته، وإنني عندما أكتب هذه السطور لا ينتابني اليأس ولو للحظة واحدة من مستقبل الشيعة وموقفها من التصحيح، نعم قد يلاقي التصحيح صعوبات في بادئ الأمر ولكن كلمة الحق تشق طريقها في النهاية، وإن التفاف الطبقة الواعية المثقفة التي تستطيع أن تجرد نفسها من الرواسب الفكرية التي لقنها إياها الآباء والأمهات والفقهاء والمشايخ يكون خير ضمان لمستقبل الشيعة في العالم.

وأسأل الفقهاء الذين يفتون بجواز المتعة واستحباب العمل بها ، هل يرضون شيئاً كهذا لبناتهم وأخواتهم وقريباتهم، أم إنهم إذا سمعوها اسودت وجوههم وانتفخت أوداجهم ولم يكظموا لذلك غيظاً؟

لقد أراد العالم الشيعي محسن الأمين العاملي أن يتدرّج بالشيعة إلى ترك المتعة بقوله : «إذا كانت المتعة مباحاً فلا يلزم أن يفعلها كل أحد فكم من مباح ترك تنزهاً وترفعاً»[1].

ولكنني أقول: إن من الواضح أن المسألة ليست بهذه الصورة، بل إن الذين لا يرتضونها لبناتهم وأخواتهم وقريباتهم لا يرفضونها تنزهاً وترفعاً، بل لأنهم يرون فيها أمراً مهيناً مشيناً يتنافى وكرامة العائلة وشرف الأسرة، وقد تسيل الدماء في بعض المناطق الشيعية إذا ما طلب من فقيه التمتع بقريبته. وحتى في إيران حيث يجري العمل بها في أكثر مدنها توجد مناطق لايستطيع المرء أن ينبس فيها بكلمة حول المتعة. أما في غير إيران ولا سيما في البلاد العربية التي تقطنها الشيعة فالحديث عن المتعة يؤدي إلى إسالة الدماء . ولست أعرف تفاصيل الأمر في باكستان والهند وأفريقيا ولكن في كل هذه المناطق لا يغير الفقيه فتواه، فهو يجوّزها إذا ما سئل عنها، ولكنه تثور ثورته إذا ما طُلبت قريبته للمتعة.

وهكذا نرى بوضوح أن المسؤلية الأولى والأخيرة في العمل بهذا الامر المقيت تقع على عاتق الذين أباحوا أعراض المسلمات ولكنهم صانوا أعراضهم وأهدروا شرف المؤمنات ولكنهم صانوا شرفهم. وفي كل هذا عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

---

١ - الشيعة بين الحقيقة والأوهام ص٣٥٧ .

السجود على التربة الحسينية

السجود على التربة الحسينية ظهر في العصر الثاني من الصراع بين الشيعة والتشيع ثم امتد نحو آفاق أوسع عمت الشيعة جميعاً.

وقلما يوجد بيت للشيعة لا توجد فيه التربة التي يسجد عليها الشيعة في صلواتها وهي من تراب كربلاء المدينة التي استشهد الحسين فيها.

وإنني أعلم جيداً ما يقوله فقهاؤنا حول السجود على التربة الحسينية حيث قالوا: إن السجود على التربة ليس سجوداً لها بل سجوداً عليها، وأنّ السجدة في المذهب الشيعي لا يجوز أن تكون إلاّ على التراب ومشتقاته ولا يجوز السجود على الملبوس والمخيوط والمأكول.

إن السجود على التربة الحسينية كما نعرفها لا تتوقف عند هذا الحد الفقهي وحسب بل المسألة أبعد من ذلك، فكثير من الذين يسجدون على التربة يقبّلونها ويتبركون بها وفي بعض الاحيان يأكلون قليلاً من تربة كربلاء للشفاء في حين أن أكل التراب حرام في الفقه الشيعي . ثم إنهم صنعوا من التراب هيئات مختلفة يحملونها في جيوبهم وينقلونها معهم في أسفارهم ويعاملونها بالتقديس والتكريم [كما فعل الوثنيون من قبل] .

وحتى كتابة هذه السطور هناك ملايين من الشيعة في شرق الارض وغربها تلتزم السجود على تربة كربلاء ومساجدها مليئة بها ، ويعملون بالتقية عندما يقيمون الصلاة في مساجد الفرق الأخرى حيث يخفونها خوفاً من اعتراض غيرهم عليها، لأن غير الشيعة يعدّ التربة وثناً تسجد الشيعة عليه. وقد كادت الفتن تحدث في مساجد بلاد لم تعرف شيئاً عن التربة الحسينية. ولست أدرى متى دخلت هذه البدعة في صفوف الشيعة فالرسول الكريم ﷺ ما سجد قط على تربة معينة ولا الامام عليّ ولا الأئمة من بعده.

ومن الجائز أن هذه الظاهرة أخذت في التوسع منذ عهد الصفويين عندما أخذت القوافل تزور كربلاء وتعود محملة بآثار من قبر الإمام الحسين.

وهناك بدعة أخرى أضيفت إلى استعمال التربة بسبب التقديس: إنها فتوى الفقهاء بجواز إتمام الصلاة للمسافرين بدلا من القصر عندما يكونون في الحائر الحسيني المحدد بخمسة عشر ذراعاً حول القبر . ومن المجمع عليه عند فقهائنا أن الواجب على المسافر هو قصر الصلاة ولكنهم استثنوا الحائر الحسيني من هذه القاعدة ولست أدري كيف استطاع فقهاؤنا – هداهم الله – الاجتهاد في أمر لم يكن له أثر في عهد الرسول الكريم ﷺ وبعد أن أكملت الشريعة بقول الله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾، والآراء الفقهية التي بنى فقهاؤنا فتواهم عليها لا تشرع تحديد بقعة معينة لاتمام الصلاة في السفر.

وقد يعني عند فقهائنا أن الإمام مصدر للتشريع، وإلا فماذا يعني الفتوى بجواز الخيار للمسافر بين القصر والاتمام في صلواته عندما يكون في حائر الحسين ؟ وعلى أي قاعدة شرعية امتاز الحائر الحسيني بهذا الامتياز ونزل فيه حكم إلهي وسماوي قبل وجود الحائر بمئات السنين؟

ومرة أخرى نكرر القول بأن الطريق الوحيد للخلاص من هذا التخلف الفكري والعزلة المحيطة بنا قروناً هو غربلة كتبنا من أمثال هذه الروايات التي تنسب إلى أئمة هداة مهديين هم منها براء ، وغربلة الفقهاء أنفسهم فكثير منهم وراء هذه البدع وتنميتها ،فالأئمة لم يستحدثوا من عندهم أحكاماً لم يكن لها أثر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولم يدّعوا قط شيئاً كهذا بل كل ما امتازوا به عند أوائل الشيعة أنهم أعرف بكتاب الله وسنّة جدّهم رسول الله ﷺ وتلقوا العلم في بيت الرسالة ومهبط الوحي.

التصحيح

لو كانت الشيعة تلتزم بالقاعدة الفقهية التي ابتدعها فقهاؤنا الأُوَل السجود على مطلق التراب ومشتقاته لم يكن الخطب فادحاً ولكانت الفرق الأخرى تنظر إلى هذا الرأي بعين التسامح وإن خالفته.

غير أن الشيعة جرياً على عمل فقهائنا تجاوزت هذه القاعدة الفقهية وأضافت إليها بدعة أشرّ وهي السجود على تراب موضع خاص وهو كربلاء.

إن من دواعي الحزن والألم والأسف أن تنزل الشيعة نفسها إلى هذه الدرجة من التدني لالتزامها بعمل ما أنزل الله به من سلطان . فلم يكن شيئاً أكثر مقتاً عند الله من التعدّي على شرعه، قال الله تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدّين ما لم يأذن به الله﴾ .

وإذا كانت الشيعة ترى نفسها على حق في السجود على تربة كربلاء فلماذا تخشى من الجهر بها أمام إخوان في الدين يجمعهم كتاب واحد ونبي واحد وقبلة واحدة وصلاة واحدة؟ وإن كانت على غير حق فلماذا هذا الاصرار عليه ؟

والحركة التصحيحية التي ننادي بها لا تعني أننا ننهى الشيعة عن السجود على التراب ، فرسول الله ﷺ يقول : «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».

ورسول الله ﷺ كان يسجد على التراب [والفراش والحصير]، ولكننا نقول: إن تفضيل أرض على أرض حتى لو أثبت في الشرع لا يعني الالتزام بالسجود على تلك الأرض وإلا لكان المسلمون يحملون معهم تراب مكة والمدينة والقدس ليسجدوا عليه .

إن على الشيعة أن تكسر طوق التبعية الفكرية في أمور فرضت عليها وهي ترى بطلانها كما ترى الشمس لكي تدخل في صف المسلمين العريض دخولاً متكافئاً رافعة الرأس قوية الحجة لا دخولاً فيه ذل التقية والازدواجية في الشخصية في سبيل بدع لم يكن عليها عمل الرسول ﷺ ولا آل بيته.

وأعود مرة أخرى وأقول : نحن لا نطلب من الشيعة أكثر من العمل على ما أجمع عليه فقهاء المسلمين بما فيهم فقهاء الشيعة في صحة السجود على الأرض ومشتقاتها مثل الخشب والحصى والخيزران والقماش. فلتسجد على ما يصح السجود عليه من بين هذه الأشياء وبذلك تقتدي برسول الله ﷺ وبالامام علي والأئمة الأُول، وتترك هذا الالتزام الذي يتضمن الفرقة والبدعة على السواء.

الارهاب

الشيعة هي أشهر طائفة سلّمت نفسها إلى زعاماتها المذهبية بلا قيد ولا شرط كي تركلها بأقدامها في ساحات الوغى مرة وساحات الغيلة والإرهاب مرة أخرى [بعد أن فرضت عليها فهمها المبتدع للدين].

ولقد استغلت القيادات الشيعيّة أمتنا عبر التاريخ فصنعت منها طائفة تعصف بها رياح البدع من كل جانب مستغلة سذاجتها وتسليمها قيادها لها. ولقد أخذ العالم الخارجي في السنوات الأخيرة ينظر إلى المذهب الشيعي على أنه المذهب الذي يأمر أتباعه بالارهاب والاغتيال. وكثيراً ما كانت الأخبار التي تنشر حول الشيعة في أجهزة الاعلام العالمية تتجاوز الطائفة وتلحق بسمعة الاسلام ضرراً بالغاً لعدم تمييز العالم الخارجي بين الشيعة وسواها من الفرق الأخرى، فكان الارهاب الذي يمارس يحسب على الاسلام ويعم المسلمين جميعاً.

إن تاريخ الاغتيال والارهاب يعود إلى قرون خلت وليس بجديد في تاريخ المسلمين ، ولكن ظهوره في بلاد الشيعة وباسم الشيعة يعود إلى مئة عام.

ومن المؤسف والمحزن أن الاغتيال منذ ظهوره في العالم الشيعي والإرهاب الذي أضيف إليه في السنوات الأخيرة كان باسم المذهب ووراءه فقهاء أعلام ومجتهدون، فقد اغتال ميرزا رضا الكرماني الشاه ناصر الدين في عام ١٣١١هـ بأمر من أستاذه جمال الدين الافغاني، ومنذ ذلك التاريخ شهدت إيران - بصفة خاصة - اغتيالات مذهبية وإرهاباً مستمراً حتى يومنا هذا. ثم انقلب الارهاب على الذين كانوا وراءه، فمارس أعداء الفقهاء الطريقة نفسها في مواجهتهم فاغتالوا من علماء المذهب في غضون ست سنوات من عمر الزمان (١٤٠٠ - ١٤٠٦هـ) عدداً يتجاوز عدد من اغتيلوا بأمر من الفقهاء في القرن الماضي.

وفي هذا العصر أعلنت الدولة نهجها الارهابي عندما ظهرت الطوابع البريدية التي أصدرتها الجمهورية الإسلامية الإيرانية وعليها صور الإرهابيين مثل ميرزا الكرماني ومجتبى نواب صفوي زعيم جماعة فدائيان إسلام التي اغتالت عدداً من رؤساء الوزارات وغيرهم بفتوى أحد المجتهدين.

وإني لأتساءل : أليست الفكرة الارهابية التي ظهرت منذ مائة عام في إيران وشجّعها بعض فقهائنا هي من آثار (قلعة الموت) التي اتخذها حسن الصباح في القرن السادس الهجري مقراً لنشر المذهب الاسماعيلي بالقوة تارة وبالحشيش ومشتقاته تارة أخرى؟ وأنها امتداد للفرق الاغتيالية التي كانت تجوب بلاد المسلمين لاغتيال أعداء الاسماعيليين؟ وأتساءل: ألا يوجد وجه شبه كبير بين المقدمات والنتائج التي اتبعتها الفرق الاغتيالية الصّباحية والفرق الاغتيالية المتطرفة الحديثة.

وإذا كانت الهلوسة الصّباحية وما رافقها من أعمال قام بها الحشاشون من جماعته في الماضي قد أحدثت في العالم الاسلامي فساداً ونكراً لاستغلال فئة جهل السّذّج بالاسلام وأحكام الدعوة والجهاد فان الحجة بنصوص الكتاب والسنة وفقه القرون المفضلة قائمة على الشيعة كي تسلك طريق الحق والعقل وأن لا تأتمر بأوامر فيها سخط الله تعالى ومخالفة رسوله ﷺ [ولو صدرت من قيادتها الدينيّة فهي غير معصومة].

النتائج مهما كانت صالحة لا تبرر وسائل دنيئة مثل الغيلة والغدر في شريعة الاسلام وفي فقه أهل بيت رسول الله ﷺ وتابعيه، ولنستشهد بعمل الإمام علي الذي تقول الشيعة إنها تقتدي به ويعتقد بعض فقهائنا ومنهم بعض أنصار الارهاب بأن عمل الإمام حجة فنقول: إن الإمام نهى أصحابه عن القيام بأي عمل يتنافى مع شرع الله والكرامة الانسانية حتى إنه أمر برفع الحواجز التي وضعها جيشه على نهر الفرات في حرب صفين لمنع جيش الشام من الحصول على الماء، ونهى عسكره من القيام بأي عمل يتنافى مع السيرة المتبعة في الحروب بين الرجال . وعندما قتل الثائرون الخليفة عثمان ابن عفان وعلم الامام بذلك لطم الحسنين لعدم منعهما الثائرين من الوصول إلى الخليفة المقتول، بل نهى الله ورسوله عن الاعتداء والخيانة والغدر في معاملة المشركين الذين صدّوه عن المسجد الحرام، قال الله تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ وقال تعالى: ﴿ولا يجرمنّكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾.

وعندما نلقي نظرة متأسّية على عصر الرسول الكريم ﷺ نعلم علم اليقين أن الاغتيال والارهاب غدر لم يكن معروفاً بل كان منكراً، فقد قال النبي ﷺ:

«ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة»، ولهذا لم تكن فكرة الاغتيالات تراود نفوس المسلمين في عصر الرسالة والخلافة الراشدة .

ولذلك نستطيع القول بعد كل هذا أن البيئة الاسلامية الصحيحة كانت ترفض أن تنسب إليها عمل باسم الغيلة والارهاب بل تعدّه حركة إجرامية مبتدعة والاسلام منها براء وأنها أعمال لا يقوم بها إلا أناس على شاكلة أبي لؤلؤة المجوسي وابن ملجم الخارجي وأمثالهما قليل.

وإن وراء الأعمال الارهابية مخططون يعرفون النفسية القلقة التي يتصف بها المتطوعون للعمل الارهابي فهم يستغلون تلك النفوس ويمنونهم بحور عين وكأس من معين ضمن دروس في الشجاعة والبطولات والتخليد في التاريخ وأخذ الثأر. وهكذا يرسلون ضحاياهم إلى العمل الارهابي وهم يجلسون بعيداً عن حلبة الصراع ليقطفوا ثمار النتائج التي يرومون الوصول اليها فهم يقضون أوقاتهم في الكهوف أو القلاع الحصينة الآمنة وأتباعهم في ساحات الانتحار ينفذون الجرائم باسم الله ورسوله وآل بيته وباسم الاسلام.

صلاة الجمعة

أعتقد جازماً أن فقهاءنا اجتهدوا أمام النص الصريح بسبب واحد ألا وهو إيجاد الفرقة بين المسلمين.

قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

بهذا النص المحكم القاطع شرع الله صلاة الجمعة وفرضها على كل من يؤمن بالله ورسوله وكتابه. غير أن الاكثرية من فقهاء الشيعة –هداهم الله– اجتهدوا أمام النص الصريح وقالوا بالخيار بين صلاة الظهر والجمعة، وأضافوا أن حضور الامام المهدي شرط لإقامة الجمعة، ففي عصر الغيبة تسقط الجمعة من الوجوب العيني ويكون للمسلمين الخيار في الإتيان بها أو بصلاة الظهر.

وقالت فئة أخرى من فقهائنا: إن صلاة الجمعة حرام في عصر الغيبة ويقوم مقامها صلاة الظهر، ولكن قلة من فقهائنا وبعضهم في القمة مثل الشيخ حر العاملي صاحب كتاب (وسائل الشيعة)أفتوا بوجوب صلاة الجمعة في عصر الغيبة.

إن كل ما قيل ويقال في إسقاط صلاة الجمعة في عهد غيبة الامام يصطدم بنص إلهي صريح لا اجتهاد فيه وذلك إذا كنا ملتزمين بكتاب الله وسنة رسوله.

ولست أدري كيف استطاع فقهاؤنا أن يجتهدوا مخالفين نصّاً قرآنيّاً محكماً مستندين إلى روايات منسوبة إلى بعض أئمة الشيعة، وهي مثل كلّ الروايات الكاذبة وضعت في العصر الأوّل من الصراع بين الشيعة والتشيع وذلك لمنع الشيعة من الحضورلصلاة الجمعة والاختلاط بسائر المسلمين والمشاركة معهم في شعار الاسلام العظيم.

إن ملوك الصفويين الذين كانوا حماة التشيع في إيران وكثير من البدع التي ألصقت بالتشيع إنما الصقت به بتشجيعهم كانوا من أنصار صلاة الجمعة،وأكبر

المساجد الإيرانية وأضخمها بنيت في عهدهم، وكان المسجد الرئيسي يسمى (مسجد الجمعة) ولايكاد يوجد مدينة كبيرة في إيران إلا وفيها مسجد من هذا الطراز، وكان إمام هذا المسجد يلقب (إمام الجمعة) ويعين بمرسوم خاص من الشاه، وكان هذا المنصب منصباً محترماً يناط بكبير العلماء أو شيخ الفقهاء في كثير من الأحيان، وكان هذا المنصب موجوداً في بلاط الأسرة المالكة حتى انقرضت الملكية في إيران قبل بضع سنوات ويعني هذا أن ترك صلاة الجمعة في عصر الغيبة لم يطرح إلا في بلاد كان الاحتكاك شديداً فيها بين الشيعة وغيرها من الفرق المسلمة الأخرى حتى يُثني الشيعة من الالتحام بالركب الموحّد. غير أن فكرة الخيار بين الجمعة أو صلاة الظهر كانت موجودة فقهياً، وكانت هناك في المدن الايرانية مساجد تصلى فيها الجمعة وأخرى تصلى فيها صلاة الظهر.

وحتى كتابة هذه السطور فان بعض فقهاء الشيعة من الأحياء يفتون بوجوب صلاة الجمعة وعدم سقوطها في عصر الغيبة ولكن عدد هؤلاء لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة وكانوا عبر التاريخ الفقهي يعدون بين القلة القليلة.

وبعد أن استلم الفقهاء السلطة في إيران أصبحت صلاة الجمعة من وسائل سياسة الدولة الأساسية وعينت ولاية الفقيه لكل مدينة إماماً يسمى (إمام الجمعة كما كان يفعل الشاه من قبل واستحدثوا تسمية جديدة لها وهي (الصلاة العبادي السياسي) فالخطباء في خطبة صلاة الجمعة يتحدثون عن قضايا الساعة والسياسة ومشاكل البلاد وسواها. [خلافاً لما كان عليه النبي ﷺ وآل بيته حيث خصّصت لما فرضها الله لأجله: تعليم الناس دينهم وتذكيرهم بآلاء الله وأيامه].

والأسوأ أنّ صلاة الجمعة لا زالت متروكة في كثير من المناطق التي يسكنها الشيعة خارج إيران. ومن هنا أطلب التصحيح والقضاء على هذه الظاهرة التي تتناقض مع نص القرآن الكريم.

التضحيح

إذاً ترك الاتيان بهذا الفرض لأئمة المساجد في المناطق التي تسكنها الشيعة فقد يبقى متروكاً لقرون أخرى، لأن أئمة مساجد الشيعة في كثير من الأحيان يأتمرون بأمر فقيه أو مرجع من مراجع الشيعة ولا يستطيعون الخروج عن فتوى المرجع الذي نصبهم في هذا المقام ولا سيما أن معيشتهم منوطة بطاعتهم.

ولذلك فان على القاعدة الشيعية أن تفرض على أئمة مساجدها الإتيان بهذه الفريضة وإذا لم يستجيبوا فعليهم أن يصلوا في مساجد أخرى تصلّى، فهذه الفريضة الالهية لا تسقط بحال. وإني لا أشك أبداً أن الطبقة الواعية المثقفة من أبناء الشيعة إذا ما التزمت بهذه الشعيرة العظيمة فانها ستقضى على مظهر كبير آخر من مظاهر التفرقة التي نهى الله ورسوله الكريم ﷺ عنها وهم بذلك يجددون وحدة المسلمين على الحقّ ويكونوا من حماتها.

تحريف القرآن

القول بتحريف القرآن يناقض الايمان به.

كيف يستطيع المسلم أن يقول بتحريف القرآن وهو أمام نص محكم يدحض كل الأقوال بالتحريف، ولست أدري كيف يكون مؤمناً بالقرآن من يناقض ما جاء في الآية الكريمة ﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩].

هذه الآية تدحض كلّ قول بتحريف القرآن المنزل على محمد رسول الله ﷺ، فالوعد الالهي صريح بأنه تعالى يحفظ الذكر الحكيم من أي تحريف. وقد ذهب رهط من علماء الشيعة إلى عدم التحريف واستشهدوا بالآية الكريمة التي أوردناها، ولكن ذهب آخرون إلى التحريف بإصرار وعناد، منهم النوري الذي الفّ كتاباً أسماه (فصل الخطاب في تحريف الكتاب) وذكر فيه عبارات زعم أنها آيات قرآنية محرّفة، والمتتبع المنصف لا يشك أبداً أن السّبب الذي وصل بهؤلاء إلى اعتقاد تحريف الكتاب هو الاستدلال بآيات في إمامة عليٍّ كانت مذكورة في السور والآيات المحرَّفة على حد زعمهم.

وتحريف القرآن يصطدم بعقبة كبيرة لدى علماء الشيعة أيضاً وهو إقرار الإمام عليٍّ بهذا القرآن الموجود بين أيدي المسلمين، فلو كانت هناك سور أو آيات محرَّفة لتحدث عنها الإمام علي وأثبتها في القرآن، وأنّى له السّكوت عن ذلك.

إن فكرة تحريف القرآن ليست من الأفكار التي تظهر على الساحة الشيعية بصفة خطيرة، لأن الأكثرية الساحقة من الشيعة لم تتعرف على هذا البحث ولا تؤمن به بسبب إنكار بعض فقهائنا فكرة التحريف، ولكن الفكرة تأخذ طابعاً حزيناً عندما ينشر الناشرون كتباً ألّفها بعض علمائنا في التحريف وتوزع الكتب تلك على الناس أو تستلّ منها مقتطفات لتذكر في كتب أخرى ويطلع عليها المسلمون جميعاً.

ومن هنا نوجه نداء التصحيح إلى كل الناشرين في البلاد الشيعية كي يقلعوا

عن نشر كتب كهذه، لأنها تخالف كتاب الله وسنة رسوله وتضر بسمعة الاسلام وأساسه القرآن، فإذا ما أصاب القرآن وهن أصاب الاسلام عامة.

وكما قلنا فان الرأي السائد لدى بعض فقهاء الشيعة هو عدم التحريف، ولكن هذا الرأي يعقبه رأي آخر لبعض فقهاء الشيعة لا توجد له أدلة الاّ في الخرافات التي يرويها بعضهم، ونحن في حركتنا التصحيحية لا نستطيع أن نغفل آراء شاذة كتلك وعلينا أن نشير إليها لكي يكون التصحيح شاملاً وهنا نذكر رأيا لكبير علماء الشيعة وهو الامام الخوئي الذي يقول في تفسيره (البيان – ص٢٥٩) بعد أن استعرض آراء فقهاء المسلمين ومحدثيهم بما فيهم الشيعة حول التحريف في القرآن أو عدم وقوعه ما نصه:

(ومما ذكرناه قد تبين للقارىء أن حديث تحريف القرآن حديث خرافة لا يقول به إلاّ من ضعف عقله أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل أو من لجأ إليه يحب القول به والحب يعمي ويصمّ، وأما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته).

وأما الرأي الثاني الذي أشرنا اليه فهو في (ص ٢٢٢)، من الكتاب المذكور نفسه، وجاء فيه:

(إن وجود مصحف لأمير المؤمنين عليه السلام يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور مما لا ينبغي الشك فيه ، وتَسَالُمُ العلماء والأعلام على وجوده أغنانا عن التكلّف لإثباته، كما أن اشتمال قرآنه عليه السلام على زيادات ليست في القرآن الموجود وإن كان صحيحاً إلا أنه لا دلالة في ذلك على أن هذه الزيادات كانت من القرآن وقد أسقطت منه بالتحريف، بل الصحيح ان تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل وما يؤول إليه الكلام).

ثم يضيف جملة محيرة وهي: (أو بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد).

ولست أدري ما هذا الاصرار على تسمية شرح القرآن أو تفسيره بالمصحف، ثم ما هو هذا الاجماع الذي يدَّعيه بقوله: (تسالم العلماء الاعلام على وجوده أغنانا عن التكلف لإثباته).

ومتى أجمع العلماء على ذلك ؟ عدا نفر قليل من الشيعة استندوا على كلام ينسب إلى الامام علي ذكره الطبرسي في الاحتجاج؟

والمحقق المتتبع لكلمات الامام وسيرته يثق بعدم صحّة ذلك [لمخالفة الوحي].

ثم ماذا تعني تلك الجملة المحيرة ؟ هل للقرآن شرح إلهي ليس جزءاً من القرآن فيكون القرآن المنزل من الله مؤلفاً من متن وشرح، متنه في يد الجميع وشرحه عند الإمام عليٍّ فقط ؟ ألا يكفينا قول الله تعالى لرسوله: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾؟

وأذكر أنني ناقشت موضوع هذا المصحف مع العلامة الكبير الخوئي ولم يأت بشيء أكثر من الاستشهاد برواية الطبرسي.

ورواية الطبرسي في كتاب الاحتجاج وهي أن الامام قال: (يا طلحة، إن كل آية أنزلها الله تعالى على محمد ﷺ عندي باملاء رسول الله وخط يدي، وتأويل كل آية أنزلها الله تعالى على محمد ﷺ، وكل حلال أو حرام أو حكم تحتاج إليه الامة إلى يوم القيامة فهو عندي مكتوب باملاء رسول الله وخط يدي حتى أرش الخدش) . (تفسير البيان – ص ٢٢٢).

في هذه الرواية ضعف واضح وغرابة مذهلة ومنها تتفرع أسئلة لا عدّ لها ولا حصر ، وقبل كل شيء لماذا خص الرسول الكريم ﷺ الإمام علياً بتعليم أحكام تحتاج إليها أمته الى يوم القيامة ولكن لم يخبر بها أمته بل أخفاها عنهم، والله تعالى يقول: ﴿وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [سبأ: ٢٨].

ويقول في موضع آخر لمحمد ﷺ: ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة:٦٧].

ولماذا لم يتحدث الامام علي عن تلك الأحكام في خلافة الخلفاء الذين سبقوه أو في زمن خلافته؟ ولماذا أخفى أحكاماً تحتاج إليها الأمة إلى يوم القيامة وفيها الحلال والحرام حتى أرش الخدش. حقاً إنه اضطراب في عقول الذين وضعوا روايات كهذه ونسبوها إلى الامام علي، وأدهى منه أن أكثر فقهاءنا –هداهم الله– استندوا عليها وحكموا بها حكم المسلمات.

التصحيح

إن كل ما ذكر في الكتب الشيعية عن مصحف الامام علي ليس أكثر من إضفاء هالة من الغلو على شخصية الامام علي حسب زعم الذين كانوا وراء وضع هذه الاساطير، وإثبات أن الامام علياً إنما هو أحق بخلافة الرسول ﷺ من غيره ولذلك يحتفظ بمصحف خاص لا يحتفظ به غيره. ولكنهم في الحقيقة أساؤا إلى الامام من ناحية أخرى فاتّهموا الامام بأنه يخفي أحكاماً إلهية فيها حدوده وحلاله وحرامه وكل ما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة لم يذكرها إلاّ لأولاده الذين هم الأئمة وهم بدورهم أخفوها عن المسلمين وحتى عن شيعتهم إلى أن اختفت كل تلك العلوم باختفاء الامام الثاني عشر.

وهكذا نرى ان الغلو الجارف عندما يتجاوز حده ينتهي إلى الاساءة المطلقة والشيء اذا تجاوز حده انقلب إلى ضده. ومن هنا نؤكد مرة أخرى وجوب التصحيح وإزالة الأوهام التي نسجت حول الإمام علي وسائر أئمة الشيعة.

ومع أننا نعتقد أن أغلب الروايات الموضوعة عن الأئمة وضعت بعد الغيبة الكبرى وهو العصر الذي نسميه بعصر الصراع الأول بين الشيعة والتشيع، إلاّ أن المتتبع المنصف لا يجد بّداً من القول بأنه في عهد أئمة الشيعة أيضاً وضعت روايات عنهم كما أن وضع أحاديث عن الرسول الكريم ﷺ كان يشغل بال المسلمين بعد عصر الرسالة غير أن الروايات الموضوعة التي كانت تنسب إلى أئمة الشيعة في حال حياتهم لم تكن ذات أبعاد خطيرة بسبب وجودهم بين الناس واستطاعة الناس من الوصول اليهم والتثبت منهم. وهذا هو الامام الصادق يروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه».

ويقول ابن أبي يعفور أنه سأل الإمام الصادق عن الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لانثق به فقال: «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله

أو من قول رسول الله ﷺ وإلاّ فالذي جاءكم به أولى به».(1)

ويروي ابن أبي عمير عن الإمام الصادق أيضاً أنه قال:

«من خالف كتاب الله وسنة محمد ﷺ فقد كفر».(2)

ويقول الامام في مكان آخر:

«كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»(3)

وهكذا وضع الامام الصادق الطريق الواضح للفصل بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة والفصل بين الروايات الصحيحة والكاذبة حتى يسد الباب على البدع التي تظهر في الدين باسم الدين.

وقبل أن أنهي هذا البحث أود أن أشير أيضاً إلى أن بعض علماء الشيعة تحدث في بعض كتبه عن مصحف فاطمة مضافاً الى مصحف علي، وموقفنا من هذا الرأي هو الرأي نفسه في مصحف علي وفيما أسلفناه الكفاية.

1- الكافي ج1، ص69 .

2- الكافي ج1، ص70 .

3- الكافي ج1، ص69 .



الجمع بين الصلاتين

يجب إقامة الصلوات في أوقاتها وأفضل الوقت أوله اقتداء بهدي النبي ﷺ والله تعالى يقول: ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وتنفرد الشيعة الامامية بالجمع بين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء في الحضر.

وموقفي من هذا الخلاف الفقهي يختلف تماماً عن غيره من المسائل الفقهية إلاّ أن هذه الظاهرة التي تنفرد بها الشيعة قد تضّر بوحدة المسلمين ، إن الاكثرية من فقهاء الشيعة يفتون باستحباب إتيان الصلوات في أوقاتها المحددة ولكن من الناحية العملية يذهبون إلى الجَمْع.

وكان الرسول ﷺ يصلي في مسجده بالمدينة في الأوقات الخمسة وكذا الخلفاء بعده بما فيهم الامام علي وهكذا كانت سيرة أئمة الشيعة. وإذا ما جمع الرسول ﷺ بين الصلاتين مرة في غير سفر فقد كان لبيان الرخصة، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (لئلا يُحْرِجَ أمّته)، أما عمله الدائم ﷺ فكان الالتزام بالأوقات الخمسة.

وليتني أعرف هل هناك خير في التظاهر بهذه المخالفة للأكثرية الغالبة من المسلمين أم أنه عمل سنّه أناس كان غرضهم عزل الشيعة عن كل مظاهر الوحدة ثم سار عليه الفقهاء وائمة المساجد وهم يعلمون أو لا يعلمون؟ ونحن في العملية التصحيحية نهتم بجمع الشمل من الناحية النظرية والعملية على السواء هدفنا القضاء الأبدي على كل مظاهر الفرقة الفكرية والعملية. وهذا لا يتم الاّ بالعودة إلى عصر الرسالة والتمسك بسنة رسول الله ﷺ على الطريقة التي كان ﷺ يؤديها. ولا أظنّ أنه يوجد بين المسلمين شخص واحد يفضل على عمل رسول الله ﷺ وسنته عمل الآخرين وآرائهم .

وإننا نهيب بأئمة مساجد الشيعة وبالشيعة أنفسهم أن يلتزموا بالصلوات في أوقاتها ويضعوا نصب أعينهم الصلوات الخمس التي كان رسول الله ﷺ يؤديها في مسجده بالمدينة ومعه صحابته من المهاجرين والأنصار، وأن لا يشذوا عن طريق رسمه الله للمسلمين في قوله تعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ وعمل به نبي الاسلام ففي الاقتداء به وبسنته عزهم وكرامتهم وشوكتهم. وهذا هو الامام علي يكتب إلى أمراء البلاد حول الصلاة وأوقاتها وقد جاء في كتابه : «أما بعد فصلوا بالناس الظهر حتى تفيء الشمس من مربض العنز وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية ... وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم .... وصلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق إلى ثلث الليل وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه» (نهج البلاغة ص٨٢، جـ٣).

الرجعة

عندما تمتزج الأسطورة بالعقيدة والأوهام بالحقائق تظهر البدع التي تضحك وتبكي في آن واحد.

وهناك موضوعان يحتلان موقعاً صغيراً في عقيدة الشيعة الامامية ولا أثر لهما في الحيلة الشيعية الاجتماعية والفكرية، الا أنهما يثيران الجدل حول المذهب، إنهما الرجعة والبداء. وقد كنا نود أن نغفل هذين البحثين في كتاب التصحيح ولكن رأيت من الافضل أن نفرد لكل بحث منهما فصلا خاصاً به بصورة مقتضبة ولا سيما بعد أن انتشرت المقالات حول المذهب الشيعي في الآونة الأخيرة وسلطت الأقلام والصحف الضوء على مذهب الشيعة. إن موضوعي الرجعة والبداء وإن كانا لا يحتلان الموقع الاساسي في العقيدة الشيعية حتى أن بعض أعلام المذهب فندوا الفكرتين وأن الأكثرية الغالبة من الشيعة لا تعرف شيئاً عنهما، لا سيما فكرة البداء وما يحيط بها من جدل عقلي أثاره بعض أعلام الشيعة في مؤلفاتهم إلا أن هناك كتب أُلفت في الموضوعين وتبناهما بعض الأعلام أيضاً، وأن فكرتي الرجعة والبداء وردتا في الزيارات التي تقرؤها الشيعة أمام مشاهد وقبور أئمتها في كل صباح ومساء ولم يحدث قط أن الزعامات المذهبية العليا المسيطرة على قلوب وعقول الشيعة اعترضت على ذلك أو طلبت حذفه من الزيارات أو فندت محتواها في حين أن بعض تلك الزعامات كان يبدي إنكاراً لفكرة الرجعة والبداء في مجلسه الخاص ولكنه لم يبد الرأي فيهما علناً، ولذلك رأيت أن الواجب يملي علي أن أكمل كتاب التصحيح بالرجعة والبداء وأبدأ بأولاهما .

تعني الرجعة في المذهب الشيعي أن أئمة الشيعة بدءاً بالامام علي ونهاية بالحسن العسكري الذي هو الامام الحادي عشر عند الشيعة الامامية سيرجعون إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي يرسي قواعده بالعدل والقسط الامام المهدي الذي يرجع قبل الأئمة ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويمهد الطريق لرجعة أجداده وتسلمهم الحكم، وأن كل واحد من الائمة حسب تسلسل إمامتهم سيحكم الأرض ردحاً من الزمن ثم يتوفى مرة أخرى ليخلفه ابنه في الحكم حتى ينتهي إلى الحسن

العسكري وسيكون بعد ذلك يوم القيامة ، كل هذا تعويضاً لهم عن حقهم الشرعي في الخلافة والحكومة التي لم يستطيعوا ممارستها في حياتهم قبل الرجعة. والذين كتبوا في الرجعة من أعلام الشيعة فسروا الآية الكريمة: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذِكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء:١٠٥] بأن العباد الصالحون إنما هم أئمة الشيعة.

هذه خلاصة الفكرة أشرنا إليها باجمال، كما أنه لا بد من القول أيضاً أن الذين ألّفوا الكتب في الرجعة واستشهدوا على وقوعها بالروايات المنسوبة إلى أئمة الشيعة لم يكتفوا من القول برجعة أئمة الشيعة فقط بل أضافوا أفكاراً أخرى وكلها أيضاً مستوحاة من تلك الروايات الموضوعة التي أشرنا إليها أكثر من مرة، وقالوا إن الرجعة لا تشمل أئمة الشيعة فحسب بل تشمل غيرهم وذكروا أسماء نفر غير قليل من صحابة الرسول ﷺ زعموا أنهم من أعداء الأئمة وأنّهم منعوهم من الوصول إلى حقهم في الحكم كل هذا حتى يتسنى للأئمة الانتقام منهم في هذه الدنيا.

ويخيل إليّ أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة ووضعوا الروايات لاثباتها لم يقصدوا منها رجعة الأئمة بقدر ما كانوا يقصدون رجعة الأعداء حسب زعمهم وذلك للانتقام منهم لأن هذه الفكرة كانت توطد دعامة التفرقة بين الشيعة والفرق الاسلامية الأخرى تفرقة لا لقاء بعدها.

والفكرة شبيهة مع فارق كبير بالفكرة التناسخية التي جاء بها فيثاغورس وتبناها الفيثاغوزيون ولها أنصارها [من الوثنيين] حتى اليوم وظهرت في مظاهر وأسماء مختلفة ودخلت الى بعض العقائد البدائية.

ولكن الذين وضعوا فكرة رجعة أئمة الشيعة لم يستعملوا المضامين التي استعملها الفيثاغوريون في عملية التناسخ أي انتقال الروح من جسد إلى جسد آخر لأن التناسخيين لا يعتقدون بوحدة الموضوع في عودة الشخص إلى الدنيا بعد الموت ويعتقدون بتعدد الحياة والموت بصور شتى وأنماط مختلفة ، أمّا الرجعة فتحتفظ بوحدة الموضوع ولا تكون لأكثر من مرة حيث يكون بعدها الموت الثاني ومن ثم البعث والنشور. لا أزيد على القول: لعل أصحاب فكرة الرجعة كانوا من المتأثرين بالفلسفة الفيثاغورية وأدخلوا الفكرة في المذهب وذلك بعد إجراء تحوير

عليها شأنهم شأن كل المبتدعين في العقائد والمذاهب. ولست أدري متى دخلت فكرة الرجعة على وجه التحديد على الشيعة وألّفت حولها الكتب إلا أن الذي لاشك فيه أن ظهور مثل هذه الأفكار البعيدة عن التعقل ظهرت في عهد الصراع الأول بين الشيعة والتشيع حيث كانت السذاجة هي الطابع الغالب على الناس والميل إلى الغلوّ والخيال كان له سوق رائج، والبدعة هذه تختلف عن البدع الأخرى التي أضيفت إلى المذاهب الشيعية حيث لم يترتب عليها إلاّ شيء واحد ، قد يكون هو السبب في اختلاق فكرة الرجعة ، وهو كما قلنا استكمال العداء وتمزيق صفّ المسلمين بخرافة انتقام الأئمة من صحابة الرسول الذين خالفوا النص الالهي المزعوم في أمر الامامة والخلافة، فكل حديث من هذا النوع كان ولا يزال يزيد في تأجيج نار الفتنة ويضر بوحدة المسلمين ويقضي على كل بادرة من بوادر الألفة والتقريب. وقبل سنوات عديدة عندما كنت في النجف جاءني أحد المشايخ وطلب مني أن أبتاع منه كتاباً قد فرغ لتوه من تأليفه وطبعه اسمه : (الشيعة والرجعة)، فسألته عن فحواه، فقال: اثبات رجوع الأئمة إلى هذه الدنيا . فسألته: ومتى يكون ذلك؟ فقال: بعد ظهور المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

فسألته مرة أخرى : إذن ما هي الفائدة من رجوعهم لأن القسط والعدل قد استتبا والأئمة أعلى شاناً وأجل قدراً من أن يطلبوا الحكم لذاته والامام عليّ يقول: «إن دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز إلا أن أقيم حقاً وأبطل باطلاً»؟ فقال الشيخ وقد ملكته الدهشة: ولكن في كتبنا روايات تثبت رجوع الائمة. فقلت له: ألم يكن من الأفضل أن يترك هذا الأمر للمهدي حتى يقول كلمته فيه؟ فولى الشيخ هارباً وهو يقول: واديناه!

التصحيح

لقد قلت قبل قليل إن فكرة الرجعة لا تشغل حيزاً مهماً في عقيدة الشيعة الإمامية ولكن كثيراً منهم يقرؤون زيارة الجامعة الكبيرة التي هي من أهم الزيارات، وقد جاء في إحدى فقراتها: «مؤمن بايابكم مصدق برجعتكم منتظر لأمركم مرتقب لدولتكم» (مفاتيح الجنان – ص ١٠٠٥).

ولا شك أن الغرض من الرجعة ليس البعث والنشور لأن هذا الأمر يشترك فيه الناس جميعاً حسب شريعة الاسلام. إذن فان الغرض من الرجعة هو الرجعة الثانية إلى هذه الدنيا وعلى هذه العبارة استند كثير من أعلام المذهب الشيعي في إثبات الرجعة فكان شأنهم شأن من بنى على رواية موضوعة بناء شاهقاً من الأوهام.

والحال أن بعض فقهائنا عندما يصعب عليهم فهم جملة لتناقضها مع أصول الإسلام والعقل يضاعفون شرحها وتفسيرها وبذلك يضيفون بدعة إلى بدعة وضلالاً إلى ضلال فيزيد الطين بلة ويعم الشر الجميع.

إن غربلة كتب الزيارة من العبارات والمضامين التي تتناقض مع شريعة الاسلام ولا سيما تلك العبارات والجمل التي فيها تنقيص وتجريح وذم للخلفاء الراشدين وصحابة الرسول ﷺ تقع في دائرة التصحيح العملي، وإن على الشيعة في كل أرض أن تعي ما تقرأ كل الوعي وأن لا تردّد ما وضع تحت يدها من مطبوع أو مخطوط صدر من أحد أئمة الشيعة إلا بعد عرضه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المفترون على شرع اللّه.

البداء

فكرة البداء تناقض مع قول اللّه تعالى: ﴿وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ [يونس: ٦٠].

تفسير الخطأ بالخطأ يعني الاستمرار فيه وعدم الخروج منه حتى قيام الساعة، ولو كان لبعض علمائنا الشجاعة العلمية وخلوص النية والحرص على اتباع الشرع لما ساروا في درب شائك لتفسير وتسويغ كلام موضوع أو فكرة تتنافى مع أصول العقيدة والبديهيات العقلية معاً، فالقول بالبداء والاصرار عليه والابقاء عليه في كتب الزيارات والروايات هو إصرار من تأخذه العزة بالاثم. وما دامت الحالة هذه فطريق الخلاص من الأوهام صعب وعسير والعناية الالهية لا تشمل قوماً قال تعالى فيهم: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ [لقمان:١٩].

وكما قلنا في فصل الرجعة: إن مفهوم البداء غامض عند الأكثرية الغالبة من أبناء الشيعة الامامية ، بل لا يعرفون شيئاً عن فحواها وإذا ما سألتهم عن معنى الكلمة فهم لا يحيرون جواباً، ولكن مع كل هذا وهو من دواعي الأسف والحزن العميق فيما وصلت إليه حال هذه الأمة بفضل زعاماتها المذهبية، إن هناك مئات الآلاف من الشيعة يكررون الجملة الآتية: «السلام عليكما يا من بدا لله في شأنكما» (مفاتيح الجنان – ص ٩٢٩). وذلك عندما يدخلون إلى مرقد الإمامين علي النقي والحسن العسكري وهم لا يعرفون معنى البداء ولا الجملة القائلة: «يامن بدا لله في شأنكما» ولا الأسباب التي كانت وراء وضع الجملة تلك ولا تعرف الخطورة الكامنة في هذا الكلام الذي فيه انتقاص من سلطان الله وعلمه وإرادته وحكمته، ولكن لم يحدث حتى هذا اليوم أن انبرى عالم من علمائنا لحذف هذه الجملة من الزيارة شأنها شأن مئات العبارات والجمل التي تملأ كتب الزيارات وتتناقض مع الوحي.

أما معنى البداء فهو أن الامامة حسب التسلسل الموجود في عقيدة الشيعة الامامية تنتقل من الأب إلى الابن الأكبر مستثنى من هذه القاعدة الحسن والحسين، فالامامة بعد الامام الحسن انتقلت إلى الامام الحسين ولم تنتقل الى الابن الأكبر للحسن وذلك لنص يروونه عن رسول الله ﷺ حيث قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

وقد حدث أن إسماعيل وهو الابن الأكبر للامام جعفر الصادق الامام السادس عند الشيعة قد توفي في عهد أبيه فانتقلت الامامة إلى أخيه موسى بن جعفر الابن الأصغر للصادق. وهذا التغيير في مسار الامامة التي هي منصب إلهي عند الشيعة يسمى بداءاً حصل لله تعالى فانتقلت الامامة الالهية بموجبه من إسماعيل إلى موسى بن جعفر ومن ثم إلى أولاده ولم تأخذ الطريق الطبيعي لها الذي هو انتقال الامامة من الأب إلى الابن الأكبر.

ولكن السؤال المحيّر هنا لماذا سمّوا تغيير مسار الامامة بداءاً ونسبوا شيئاً كهذا إلى الله تعالى لاثبات أمر لم يكن إثباته بحاجة الى انتقاص سلطان الله.

والجواب يكمن في تلك الملابسات والظروف التي حصلت في عهد الصراع الأول بين الشيعة والتشيع، فالامامة عندما تكون إلهية لا تخضع للشورى ولا يتغير مسارها بموت الامام الشرعي، بل تنتقل الامامة حسب التشريع الالهي الذي لا يتغير من الاب إلى الابن. وهذا يعني أن الامام الأب لا سلطة له في تعيين الامام الذي سيخلفه لأنه معين بارادة الله. وهذا أثر من صراع فكري حدث بين الشيعة أنفسهم قبيل عصر الغيبة الكبرى، وذلك عندما بدأ المذهب الاسماعيلي يظهر ويهدّد وحدة الشيعة بالتمزق الداخلي. وكان المذهب الإسماعيلي يرى أن الإمامة الإلهية مستمرة بالصورة التي أرادها الله منذ الأزل وهي في نسل علي وأولاده الأسنّ فالأسنّ، فإذا مات الوريث الشرعي الذي هو إسماعيل فلا يحق لأبيه الصادق ان يعين موسى ابنه الأصغر بل تنتقل الإمامة إلى الابن الأكبر من ظهر إسماعيل. وبما أن الشيعة تبنت فكرة الإمامه الإلهية أيضاً فلكي تخرج من هذا المأزق قالت بفكرة البداء لكي تلقي مسؤولية انتقال الإمامة من إسماعيل بن جعفر إلى موسى بن جعفر على الله وليس على الإمام الصادق، ولتفنّد العقيدة الإسماعيلية. وكما يعلم الجميع فإن الإمامة لا

زالت مستمرة عند الإسماعيليين حتى هذا اليوم على قاعدة أن الامام حي حاضر ومن نسل إسماعيل ولم يحيدوا عن هذا المنحى الفكري الذي أملاه عليهم مذهبهم قيد أنملة.

والدليل على أن فكرة البداء إنّما ظهرت مع ظهور الفرقة الاسماعيلية التي أخذت تناهض الشيعة وتخرق وحدتها أننا لا نجد أثراً لفكرة البداء قبل أوائل القرن الثالث، وأول إمام يخضع لفكرة البداء هو الامام العاشر ومن بعده الحادي عشر للشيعة في حين أنه كان من الأولى [وفق فكرة البداء]. أن يخضع الامام موسى بن جعفر لفكرة البداء حيث كان هو موضوعها، ولكن الامام موسى وابنه علي الرضا وحفيده محمد الجواد لم يخاطبوا بكلمة فيها إشارة إلى حصول البداء بحقهم، الأمر الذي يؤكد لنا أن اللجوء إلى تبني فكرة البداء إنما حصل مقاومة للتيار الاسماعيلي في أوائل القرن الثالث الهجري.

إن موضوع البداء احتل جانباً من الكتب الشيعية وأفرد له بعض الأعلام فصلاً يدافع عن معنى البداء وفحواه، وانتهى الجدل إلى الأبحاث الفلسفية والكلامية التي احتلت أجزاءاً كثيرة من الكتب الكلامية في الارادة الالهية، والآجال الحتمية المقدرة، والقدر الذي يدفعه الحذر، والبلاء الذي تدفعه الصدقات، وما إلى ذلك من كلام يعرفه أهل العلم وكلّ من ألمّ بالصراع الفكري بين الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم من مفكري المسلمين. كما أن بعض أعلام الشيعة وجد الحل للخروج من مأزق البداء بالتفصيل بين النسخ التشريعي والنسخ التكويني وقال إن البداء هو النسخ في التكوين، ومهما يكن من أمر فان الذين كتبوا وألفّوا في البداء لم يضيفوا إلا أوهاماً إلى أوهام وسفسطة إلى سفسطة. ولو أنهم استشهدوا بقول الله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ لكان لهم خير طريق للخروج من مأزق وضعوا أنفسهم فيه ولم ينته الأمر بهم للخروج منه إلى الطعن في سلطان الله بأنه تعالى كان يريد أمراً ثم بدا له غيره.

التصحيح

إننا نؤكد مرة أخرى وجوب غربلة كل موروثاتنا التي أدخلت في العقيدة الشيعية سواءاً كان فيها انتقاص في حق الله تعالى أو في حق رسوله أو خلفائه أو

صحابته أو اتباعه فإن الذين هم وراء الصراع بين الشيعة والتشيع لم يتورعوا في سبيل أهدافهم عن التطاول على القدرة الالهية. وأملي بالله كبير وأدعوه مخلصاً أن ينجلي هذا الليل المظلم وتشرق شمس الحقيقة على القلوب الصافية المستعدة لتقبل الحق وبذلك تعود الشيعة إلى عصر الرسالة الأولى وتنعم باتباع سنة الرسول الكريم ﷺ .

التصحيح بين القبول والرفض

إن الفكرة التصحيحية التي نادينا بها للمّرة الأولى في تاريخ الشيعة والتشيع ستلاقي ولا شك ردود فعل مختلفة على صعيد العالم الشيعي وذلك حسب البيئة التي يصل إليها نداء الاصلاح، ومن الطبيعي أن فئات من المتاجرين بالطائفية وفي مقدمتهم كثير من الزعماء الدينيين سيقاومون الفكرة التصحيحية بكل ما لديهم من قوة وجهد.

وقد نعذر هؤلاء لأن خطر التصحيح يهدّد مجدهم وسلطانهم وكياناً بنوا عليه آمالاً عريضة. غير أن الذي لا شك فيه هو أن الأكثرية الغالبة من الطبقة الواعية المثقفة من أبناء الشيعة ستستجيب لنداء التصحيح وتقف وراءه كالبنيان المرصوص لأن فيه عز الدنيا وخير الآخرة معاً.

وهنا أود أن أوجّه نصيحة إلى الطبقة الواعية التي بنينا آمال التصحيح عليها وأقول لهم إن كلمة الحق تدعم نفسها ولا تحتاج إلى العنف والقسوة في الدعوة إليها، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث يخاطبه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران:١٥٩]. وبقوله: ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل:١٢٥].

فلذلك يجب على كل فرد يأخذ على عاتقه واجب الدعوة إلى التصحيح أن يسلك طريق الحسنى وعدم الشدة والعنف في مخاطبة غيره ولا سيما الشيوخ الطاعنين في السن فليس من السهل على أناس بلغوا من السنّ عتيّاً أن يقلعوا عن عادة في القول أو الفعل تعودوا عليها منذ سنين الصبا ودُرِّبوا عليها، فمثلا وليس على سبيل الحصر، هل يا ترى أن إنساناً ما تعود منذ نعومة اظفاره ان يستعين بغير الله وينادي ذلك الغير بكلمة (يا) نبياً كان المنادى أو إماماً أو ولياً يستطيع أن يقلع عن هذه العادة والعقيدة معاً بين عشية وضحاها وهو يظنّ أنها تقرّبه إلى الله؟

إنّ كثيراً من الشيعة ينادون غير الله في طلب المعونة ولست ادري لماذا نترك الله القادر على كل شيء الحي الذي لا يموت ونستعين بميّت وهو الذي أمرنا

بالاستعانة به وحده. ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة:٥]، وهو الذي يخاطب عباده بقوله: ﴿أدعوني أستجب لكم﴾ [غافر:٦٠]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ونحن أقرب اليه من حبل الوريد﴾ [ق:١٦].

وهل يا ترى أن من السهل أن تحمل الشيعة على الاقلاع عن السجود على التربة الحسينية وهي ترى زعماءها الدينيين يسجدون عليها في صلواتهم؟

وهل يا ترى أن من السهل أن تحمل الشيعة على الاقلاع عن تسمية أولادها بالعبودية لغير الله؟ [مثل عبد علي وعبد الحسين وعبد الرضا]؟ وهذه ظاهرة لانجدها عند أية فرقة أخرى من الفرق المنتمية إلى غير الاسلام، والشيعة هي أكثر الطوائف المنتمية إلى الاسلام صرفاً للعبودية لغير الله حتى في تسمية أولادها، مع أن جهلة أهل السّنّة مع الأسف والأسى قد يسمّون أبناءهم بعبد النبي.

وإذا تصفحنا تاريخ أئمة الشيعة من الامام علي حتى آخر أئمتهم لم نجد أحداً منهم عبَّد ولده لغير الله في التسمية، ولست أدري منذ متى بدأت الشيعة تسمي أولادها بهذه التسميات التي تتناقض مع شريعة الاسلام، فالعبودية لله وحده لا لإنسان آخر مهما كان شأن ذلك الانسان عند الله.

أعود مرة أخرى لأؤكد للطبقة الداعية للتصحيح أن تغيير هذا المنحى الفكري عند الشيعة الامامية لا يمكن أن يحدث بين عشية وضحاها، بل يحتاج إلى تعليم ومثابرة وصبر ووقت حتى يدخل في القلوب. ولذلك فان المسؤلية خطيرة يجب أداؤها خطوة بعد خطوة. كما أن علينا ان لا نغفل تلك القوى الكافرة التي تتربص بالمسلمين ولا تريد وحدتهم وتسعى للتفرقة بينهم فهي تحاول جاهدة عن طريق أقلام مأجورة عاشت على الفرقة وإثارة الضغناء أن تقاوم حركة التصحيح وهي لا تدَّخر جهداً في سبيل ذلك، وهناك فئات ساذجة وصفها الامام علي بقوله: «همج رعاع يميلون مع كل ريح، أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور الله»، وهي تسير في ركب زعاماتها المذهبية وتأتمر بأمرها وهي الناشرة لكل البدع التي ألصقت بالمذهب الشيعي عبر القرون.

إن هذه القوى كلها ستحاول مقاومة حركة التصحيح ولكنّ التصحيح أقوى

منهم بكثير وسينتصر عليهم بإذن الله، وذلك لأن مقاومة التصحيح ترتطم بجدار صلب ضخم لا تستطيع أية قوة أن تنفذ منه، وذلك لأننا وضعنا قواعد التصحيح على كتاب الله وسنة رسله ﷺ وعمل وأقوال الإمام علي التي رواها فقهاء المذهب الشيعي حجة على أنفسهم، ثم على دعامة العقل الذي اعتبره علماء الشيعة الركن الرابع من أركان استنباط الأحكام الشرعية ، وهذه الدعائم الأربع حجة على علماء الشيعة لن يستطيعوا أن يحيدوا عنها أو يقارعوها.

ولا نرى بداً من تكرار القول بأن كتب روايات وزيارات الشيعة لا تخلو من كلمات تنسب إلى أئمتنا تتناقض مع ضروريات الاسلام وأصوله وتتناقض مع الأدلة الأربعة التي اعتبرها فقهاء الشيعة أساس الاستنباط للأحكام الفقهية، وهذه الروايات الموضوعة التي نسبت إلى أئمة الشيعة الذين أمروا بنبذ كل رواية تنسب إليهم إذا كانت تخالف كتاب الله وسنة رسوله قد تؤخذ ذريعة للوقوف ضد التصحيح وأهدافه.

ولذلك فإننا نهيب بالطبقة الواعية المثقفة التي نعتبرها السند الأول والأخير بعد الله لحركة الاصلاح أن تحكّم كتاب الله وسنة رسوله ثم العقل في كل رواية يستند عليها بعض فقهائنا وعلمائنا لتثبيت البدع التي ألصقت بالمذهب الشيعي، وأن يكون كل فرد هو الحَكَم في كل ما يلقى على مسامعه من غث أو سمين أو صحيح أو سقيم وهذه هي الطريقة الوحيدة للخلاص من سلاسل قيّدت عقول الشيعة وقلوبهم ودينهم عبر القرون.

لقد سمع العالم قبل أكثر من عام زعيماً من زعماء المذهب الشيعي يخطب أمام الجماهير الشيعية في طهران وينقل كلامه عبر الأثير وهو يقول:(إن جبرائيل كان ينزل على السيدة فاطمة الزهراء بعد وفاة أبيها ويحدثها عن قضايا كثيرة).

والمسلمون يعتقدون أن هذا الكلام يتناقض مع ضروريات الاسلام وعقائده الأساسية، فالوحي قد انقطع بعد وفاة رسول الله ﷺ ، غير أن هذا الكلام ورد على لسان هذا الفقيه استناداً على تلك الروايات الموضوعة التي طالما طلبنا غربلة الكتب الشيعية لإخراجها منها. ولكن الأدهى من ذلك أن نظراء ذلك الفقيه وأقرانه أذعنوا

لصحة هذه الرواية بالسكوت الذي هو من علامات الرضا. ولذلك نحن نُحمِّل بعض زعماء المذهب وعلمائه المسؤلية الكبرى عن استمرار تلك البدع التي ألصقت بالمذهب الشيعي ووقفوا منها موقف المؤيّد أو المسالم. وهذا هو الامام علي يخاطب رسول الله ﷺ عندما كان يلي غسله وتجهيزه بقوله: «بأبي أنت وأمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من الأنبياء» (نهج البلاغة ص ٢٢٨ جزء ٣).

هناك طريق تسلكه عادة أصحاب النفوس المريضة والجهلاء ، إنه طريق التجريح والطعن في صاحب الدعوة والرأي شأنهم شأن أولئك الذين ذكرهم الله في محكم كتابه بقوله:

﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمّة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ [النحل: ٩٢].

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير* ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ [الحج: ٩].

بسم الله الرحمن الرحيم

اجازة

الحمد لله الذي اجاز العلماء ما اجاز وصلى الله على محمد وآله بمجاز الحقيقة وحقيقة المجاز وبعد فان جناب العالم الفاضل ثقة الاسلام الآغا موسى حفيد المرحوم آية الله العظمى السيد ابو الحسن الاصفهاني الموسوي رضوان الله عليه ممن بذل جهده في تحصيل العلوم الشرعية حتى حاز بحمد الله تعالى رتبة ملكة الاجتهاد مقرونة بالصلاح والسداد وقد اجزت له لأهليته ان يروي عني ما صحت لي روايته عن مشايخي العظام واساتيذي الكرام. وان لا ينساني من صالح دعواته كما لا انساه. والله سبحانه [illegible]

صدر من مدرستنا العلمية بالنجف الأشرف

بدعاء محمد الحسين آل كاشف الغطاء

١٣٧٩

صورة من الشهادة العليا في الفقه الاسلامي (درجة الاجتهاد) التي نالها المؤلف قبل ثلاثين عاما من المرجع الديني الأعلى زعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء رحمة الله عليه.

تنبيه هام

لكي تبقى رسالة التصحيح مستمرة في التقدم لقد أخذ المجلس الاسلامي الأعلى على عاتقه إصدار مجلة شهرية تهتم بشئون التصحيح وأهدافه ومبادئه. وإن المجلة سوف تنشر المقالات والكلمات التي تصلها حول التصحيح بغض النظر عن الاتجاه الذي يسير فيه صاحبها على شرط أن يكون صاحب المقالة أو الكلمة من ذوي الاختصاص بشئون الدين والفقه والعلوم الاسلامية. كما أن العلماء المشرفين على المجلة سيجيبون على الأسئلة التي توجه إليهم حول التصحيح بشرط أن تكون الاسئلة موجزة.

الرسائل تعنون الى المجلس الاسلامي الأعلى
على العنوان البريدي التالي:-

POST-TEL CENTER
2210 Wilshire Blvd., Suite 451
Santa Monica, CA 90403
U.S.A.

الفهرس